روايات غادة

موعد مع الحب

أيريس ويبرلي

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

روايات غادة

تزوجت فيرا من باتريك بعد لقائهما بشهرين فقط، إثر قصة حب عنيفة، وهربت معه إلى أوستراليا لتعيش هناك.. وكتبت لأمها تقول لها أنها هنا معه لأنها تريد أن تكون معه، ولأنها وقعت في حبه منذ أن وقعت عيناها عليه..

لكن.. لو أنها فقط تستطيع أن تقول أن باتريك يحبها كما تحبه.. صحيح أنه منجذب لها، لكن إلى متى ستبقى هذه الجاذبية على قوتها؟ وماذا سيحدث حين يضجر منها؟ وماذا حدث لحبيبته السابقة باتريسيا؟

www.elromancia.com مرمورة

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
العلمي للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

- ١ -

الهروب

دست ڤيرا يدها في جيب سترتها الصوفية السميكة.. وأطبقت أصابعها حول حلقة المفاتيح القديمة.. معها الآن مفتاح الكوخ الذي بناه جدها في تلال شيڤيون بمساعدة أبيها، يوم كان حياً. بإمكانها الذهاب إلى ذلك الكوخ لو أرادت.. كل ما عليها أن تفعل هو المضي على هذا الطريق إلى أن تصل إلى الطريق العام ثم تتجه شمالاً غرباً، لتصل إلى الجبل من البحيرة الصغيرة المعروفة بإسم شيڤون، حيث يوجد الكوخ.

بدلاً من الدخول إلى الطريق الموصلة إلى داخل نيو كاسل داست على دواسة السرعة، لتقفز السيارة وتزقزق الإطارات فوق الأسفلت الناعم. وهمست، تحدث جدها الغائب: شكراً جدي.. عرفت أنك ستتدخل!

لم تكن المرة الأولى التي تهرب فيها من البيت.. كان هناك مرة هربت من مدرسة البنات الخاصة، وكانت يومها في الثالثة عشر من عمرها «بطيطة» صغيرة قبيحة، مشدات الفولاذ على أسنانها،

مما يجعل الإبتسام محرم عليها، وحاجبان كثيفان منخفضان يعطيان وجهها التعبير الغاضب المتمرد.

أرسلت إلى تلك المدرسة على يد زوج أمها، أساساً ليبعدها عن منزله وزوجته، أمها، على أمل أن تغيّر سنوات من المدرسة الداخلية، شيئاً من طباعها المشاكسة وتصبح فتاة اجتماعية مثقفة.

لكن فيرا كانت تعيسة جداً في تلك المدرسة.. فقد أبعدها هذا عن الشخصين اللذين تحبهما أكثر: أمها وجدها. وهكذا واجهت المتاعب مع المعلمات والطالبات منذ أول يوم. ولم يمض على وجودها هناك شهرين حتى قررت الهرب.. ركبت الباص إلى أقصى الشمال، ثم حصلت على توصيلات إلى أن بلغت كوخ جدها، المستقر قرب البحيرة بين تلال تغطيها الأشجار إلى الشمال الشرقي من شيفيون.. جدها فهم تماماً ما هي مشاعرها نحو المدرسة وتدخل إلى صالحها مع زوج أمها.. ولم تُرسل إلى تلك المدرسة بعدها، بل إلى مدرسة عامة، إلى أن وصلت إلى سن الثامنة عشرة.

البطيطة البشعة، التي كانت في الثالثة عشرة.. تطورت لأن تصبح رياضية رشيقة، بارعة في معظم الرياضات، ومع أنها لم تكن بارعة في الرياضيات، إلا أنها كانت ذكية لدرجة أن تدربت على الإدارة إلى أن أصبحت مديرة تنفيذية في مصنع زوج أمها للكيماويات، حيث لا زالت تعمل حتى الآن، ولربما ستبقى بعد أن تتزوج.

هذا إذا تزوجت جايمس.

قطبت وهي تتطلع عبر الزجاج الأمامي، إلى السطح المبلل للطريق.. لماذا بحق السماء قبلت عرض جايمس للزواج؟ لقد تقدم بطلبه في حفلة ليلة الميلاد الذي أقامها أبواه في منزلهما العصري جداً، الذي لا يبعد كثيراً عن منزل مارستون، زوج أمها.. ولو أن جدها جاء لحضور عيد الميلاد معهم، لما كان تركها تقتنع أن خطوبتها لجايمس موروندو فكرة جيدة، ولما كانت لتهرب الآن.

ظهرت أمامها لوحة علاّم خضراء، تدل على أن المخرج التالي سيقودها إلى الطريق العام، المتجه شمالاً... القرار الآن، أو لن تتخذه أبداً، بإمكانها الإستدارة للعودة وإكمال التحضيرات للعرس، أو أن تتجه شمالاً.. أبطأت السيارة وأدارتها حول محطة خدمات، تحت حجر علوي، فوق الطريق الرئيسية، ذات الثلاثة خطوط في اتجاه واحد، شاهدت شاحنات ومركبات من أحجام مختلفة تمر بسرعة.

داست قدمها على دواسة السرعة مجدداً، وانطلقت السيارة إلى الأمام، نحو الخط الأيسر.. وها هي أصبحت في طريقها نحو الشمال.. تقوم بما أحبت أن تقوم به دائماً.. قيادة سيارة سريعة، فوق طريق سريعة.. وارتفعت معنوياتها.. أدارت الراديو، تديره إلى محطة للموسيقى الريفية.. وللثمانين ميلاً التالية، أخذت تغني مع المطربين المفضلين لديها.. دون أن تفكر مرة بجايمس، أو تحضيرات العرس، التي يجب أن تتابعها ذلك النهار..

إلى أن وصلت إلى المخرج المتجه نحو التلال، كان الطقس قد

قسد، ونور بعد الظهر أظلم.. وأخذ الثلج يتساقط بكثافة، وأنوار بلدة شيڤيون الصغيرة الكهربائية تتلألأ. توقفت عند أول محطة وقود.. وبينما كان العامل يعبيء لها الخزان، أسرعت إلى المطعم الصغير تستعمل الهاتف.. طلبت رقم أمها، وفي لحظات سمعتها تقبل بدفع رسوم المكالمة، وقالت بصوت حاد:

- ڤيرا؟ أخيراً، أحمد الله.! أين أنت؟ ما الذي حدث؟

تجاهلت ڤيرا محاولات أمها لمقاطعتها:

- لن أقول لك أين أنا.. إتصلت بك فقط لتعرفي أنني بخير.

قالت ميغي مارستون بصوت إخشوشن بالقلق:

- قلقت عليك إلى حد المرض.. هذا عدا قلقي على سيارتي.. فيليب، وجايمس خرجا يفتشا نيوكاسل والجوار بحثاً عنك.. وأبلغ فيليب البوليس أنك مفقودة.. ظن أن أحداً اختطفك.. ڤيرا أنت لست مخطوفة؟

- لا.. لست مخطوفة.. أنا بخير.. قلت لك.

- إذن عودي في الحال.

- لا أمي.. أرجوك أصغي إليّ.. لن أعود.

- لكن، يجب أن تعودي فستتزوجي في الغد.

- لا.. لن أتزوج، أرجوك قولي لجايمس أنني آسفة، لن أستطيع أن أتزوجه.. يجب أن يكون لي وقت أطول لأفكر.. يجب أن أختلي بنفسي لفترة.

أخذت ميغي تضيح:

- لا يمكنك فعل هذا.. لا يمكنك الهرب مرة أخرى.. لم

تعودي طفلة.. يجب أن تبدأي بالإحساس بالمسؤولية.

- هذا ما أفعله الآن.. أنني آخذ مسؤوليتي تجاه أعمالي، وتجاه حياتي.

- لكن، كل شيء محضر للغد. أنت تخيبين أمل الجميع بهروبك.. لا ترين هذا؟ ڤيرا.. يجب أن تعودي إلى البيت الليلة.

- آسفة أمي، لا أستطيع. آسفة لهذه المتاعب، لكنني أخطأت بقبولي الزواج من جايمس.. إسمعي.. يجب أن أذهب الآن. سأتصل بك مرة أخرى يوم الأحد، لأقول لك ما سأفعل.

علقت السماعة بسرعة، وخرجت من غرفة الهاتف. عند الطاولة الطويلة في المطعم طلبت سندويشات وشاياً أخذتها معها إلى السيارة.. عامل الوقود كان يمسح الزجاج من وحل الطريق. وقال لها:

- يبدو أننا على وشك أن ننال عاصفة كبيرة الليلة، آخر عاصفة لهذا الشتاء، كما أرجو.. أمر جيد للمتزلجين.. أين أنت ذاهبة؟

- إلى الغابة.

- من الأفضل أن تنطلقي الآن.. يقال أن الطرقات الجبلية تقفل بسرعة مع هطول الثلج.

تركت ڤيرا الطريق العام خلفها، وأخذت تقود السيارة في طرقات ريفية ملتوية، نحو آخر قرية قبل التلال.. لحسن الحظ، كان أمامها جرافة، تمهد الثلج المتساقط، لمعظم الطريق.. وما هي إلا ساعة حتى كانت تقود السيارة في واد بين التلال، حيث الأنوار تندفع من مجموعة منازل.

www.elromancia.com

ما أن مرت عبر القرية، حتى استدارت عن الطريق إلى ممر غير معبد يمر بنهر صغير يصل إلى بحيرة هيلست. . الممر لم يكن مستوياً، وغطته طبقة سميكة من الثلج، حتى أنها لم تعد ترى أطرافه. ووجدت نفسها أكثر من مرة تقترب من النهر المغطى بالثلج. . بعد بضعة أميال، سقطت السيارة في حفرة عميقة، ورفضت أن تتقدم أو تتأخر، وقررت التوقف عن المحاولة.

أطفأت أنوار السيارة، وخرجت تقفل أبوابها. زررت سترتها حتى العنق، رفعت الياقة، وبدأت تسير. وهي تخوض في أكوام الثلج. إمتدت يدها إلى جيبها تبحث عن المفتاح مجدداً. . هذا المفتاح هو صلتها الوحيدة بجدها. . إنه طلسمها القادر على صنع العجائب، وتغيير حياتها. . وأخذت تدعك المفتاح بين أصابعها. تهمس: أعطني الحظ. . أوه. . أعطني الحظ. . لا تعرف كم سينفعني القليل من الحظ الآن.

بعد نصف ساعة من السير الشاق عبر الثلج، قررت أنها لا بد أصبحت قريبة من الكوخ. . الظلام كان قد حل باكراً. يزيد من صعوبة رؤيتها لأي شيء عبر غلالة شرائح الثلج المتطايرة. كانت عيناها تدمعان وتحرقانها من الريح المثلجة، وبدأت تتألم. . وقفت لحظة، ترجع شعرها المبلل إلى الخلف، وتنظر حولها علها ترى الكوخ.

نور أصفر، لمع أمامها. . لا شك أنه يخرج من نافذة. . أو ليس هذا شكل كوخ تراه بين الأشجار؟ وبدأت تشق طريقها في الثلج مجدداً، وكان يصل إلى خصرها تقريباً، وتمنت لو أنها ارتدت حذاء خاصاً للثلج.

إزداد لمعان النور الأصفر. . إنها قريبة منه الآن، وتستطيع أن ترى شكل الزريبة الصغيرة قرب الكوخ، حيث المولد الكهربائي. . وبما أن هناك نور في الكوخ، لا بد أن يكون فيه شخص ما. . من هو؟ هل اقتحمه أحد؟ ربما عامل متشرد يسكنه للشتاء. . لقد قال لها جدها أن المتشردين الجوالين يقتحمون المنازل الريفية المهجورة خلال الطقس العاطل، ويتركونها مع ذوبان الثلج، وقبل عودة المالكين لتجهيز بيوتهم للصيف.

فجأة، إنطفأ النور. . إلتف الثلج حولها وضربت الريح خديها. . وشاهدت الممر الموصل إلى الكوخ. . شخص ما نظفه من الثلج بعد ليلة الأمس، لكنه كان يختفي مجدداً، وبسرعة، تحت الثلج المنهمر مجدداً، وهي تتقدم إشتمت رائحة دخان الحطب. . . هل عاد جدها من رحلته حول العالم دون أن يخبرها أو يخبر أمها؟ أحياناً، كان يفعل هذا حين يريد الاختلاء بنفسه لكتابة كتاب جديد.

أسرعت نحو الباب، وفتشت عن الرشاح الخارجي. . لم يكن هناك. . إذن لن تحتاج إلى مفتاح لفتح القفل. . بحذر، رفعت المزلاج بحذر، كل أحاسيسها متوترة، فكائناً من يكون في الداخل، قد يمتعض لوجودها ويتحداها. مصاريع الباب أصدرت صريراً مرتفعاً، وأكملت فتحه. دخلت محاولة النظر جيداً في الظلام. . رائحة دخان الحطب قوية هنا، وفي المدفئة القديمة ألسنة نار مرتفعة بأنوار برتقالية.

أغلقت باب الكوخ، ووقفت تصغي. . كان الماء ينقط على

www.elromancia.com

وجهها من شعرها المبلل.. ومن ثيابها إلى الأرض.

خطت إلى الأمام، ثم توقفت تصغي مجدداً.. هل هناك شخص يتنفس؟ شعر مؤخرة عنقها اقشعر.. خطت مجدداً.

ـ لا تتحرك.

الصوت المتكلم من الظلام جاء من يسارها، بارد أجش، ورجالي، لكنه ليس صوت جدها:

ـ أبق حيث أنت وأخبرني من أنت وماذا تريد.

لم تتوقف فيرا لتفكر، أمسكت برباط حقيبتها، وطوحتها في اتجاه الصوت، وألحقتها بقدمها اليمنى في ركلة مرتفعة، تهدف إلى إصابة أي مكان في الجسد الذي استطاعت أن تراه في الظلام.

لكن قدمها لم تصل إلى هدفها، فقد صدّ الركلة بذراعه، وأمسك القدم بيده الأخرى ليرمي فيرا على ظهرها.. وقوعها كان عنيفاً. وأحست أن أنفاسها كلها خرجت من صدرها، كل عظامها، كل عضلات جسمها، مرتجّة. لكنها قفزت واقفة بلمح البصر، وهي تعرف أنه تحرك إلى خلفها.. ركزت نفسها مجدداً، ورفعت ساقها إلى الخلف بركلة ملتفة.. هذه المرة إتصلت قدمها بصدره، فتأوه وتراجع إلى جدار الكوخ.

إنتظرت تتنفس بصعوبة، تحاول رؤية مكانه، وتتذكر مكان مفتاح النور.. إنه على الجدار قرب الباب.. مدت ذراعها، تحسست أصابعها الخشب الخشن، ووجدته. لدهشتها كان في وضعية الإضاءة، لكنها حركته، ولم يحدث شيء.. صاحت:

ـ ماذا حدث للنور؟

www.elromancia.com

لم تسمع رداً.. أين هو؟.. إستدارت تركل مجدداً.. لكن بالكاد ارتفعت قدمها حين هاجمها مجدداً.. إلتفت ذراعاه حولها بقوة.. لكنها رفعت ركبتها إلى أسفل بطنه، وسمعته يتأوه متألماً.. لكن ذراعاه لم تضعفا، وأحست أن صدرها يكاد ينسحق تحت الضغط ووجدت صعوبة في التنفس.. لكنها كانت قادرة على استخدام ركبتها مجدداً.. وفعلت.

هذه المرة لم يتأوه فقط بل صرخ بلهجة غريبة، ثم تكلم بالإنكليزية:

ـ سافلة! هناك طريقة واحدة للتعامل معك!

سرى الغضب في أوصال فيرا كالنار.. حاولت التخلص من قبضته، لكنها لم تستطع أن تلين حديد يديه المطبقتين حولها..

قررت أن تدعي الإسترخاء، ورمت نفسها إلى الخلف.. آملة أن يتركها، كي لا يقع معها.. ونجحت الخطة.. فقدت توازنها ووقعت إلى الخلف، لكنه بقي معها إلى أن أصبح فوقها.. ليثبتها إلى الأرض بثقله.. لم تستطع الحراك، وبالكاد تتنفس.. ببطء أخذ الذعر ينتشر فيها.. فأخذت ترفس بعنف، وتحاول التلوي تحته لتفلت منه.. لكن، كلما قاومت أكثر، كلما زاد ضغطه فوقها.

توقفت عن المقاومة وأغمضت عينيها، آملة هذه المرة أن تخدعه بفقدان وعيها.. فاسترخى ضغطه قليلاً لكن ذراعاه لم تتركاها..

ثم أحست بشفتيه الحارتين الرطبتين تمران على خدها ثم عنقها..

مرة أخرى حاولت التخلص لكن دون نجاح.. وتسللت يداه تحت سترتها تداعبها وأحست بحرارة يده من فوق كنزتها تدفئان بشرتها

الباردة. . فجأة، وبشكل مذهل، كل رغبة في المقاومة تخلت عنها. مشاعر جديدة يدور لها الدماغ، إندفعت في شرايينها تهدد أن تتغلب على كل التعقل فيها. . وأحست بوخزة حادة أخرى من الإنذار. . وجدت أن يديها الآن حرة فبدأت تضرب كتفيه، ثم دفعته بكل قوتها.

في تلك اللحظة، عاد النور، يغطي الغرفة بأشعة قوية. . رفع الرجل رأسه، ثم ابتعد عنها، وقف، ثم سار مبتعداً عن نظرها.

جلست ڤيرا. . تحس بالرضوض والألم. . لكنها تقبلت هذا كجزء من المعركة التي دارت بينها وبين الرجل. . لكنها أحست كذلك بإحساس الاغتصاب للطريقة التي قبّلها بها في الظلام. . ما تعلمته من فنون الدفاع عن النفس لم يساعدها أبداً، لأنها كانت تواجه خصماً أقوى منها بكثير. . شخص رشيق وسريع كالفهد. . شخص لا يلتزم القواعد، واستخدم قواعد أخرى وسيطر عليها، بهزمها بملامسته لها بطريقة حساسة غاوية. . ولفعلته هذه، يجب أن يدفع الثمن. وستنال انتقامها بطريقة ما.

إستدارت فوق الأرض متدحرجة لتعاود الوقوف على قدميها. . كان يقف قرب الطاولة في وقفة قتال. . مستعد للدفاع والهجوم معاً. واتخذت بدورها وقفة القتال نفسها التي تعرفها جيداً. . ونظرا إلى بعضهما بعدوانية.

كان حوالي المئة وثمانين سنتمتراً في طوله. كتفاه مسطحان مستقيمان عريضان، وصدر عريض، يضيق حتى يصل إلى خصر نحيل، وساقان قويتان تحت بنطلون رياضي ضيّق. . عيناه زرقاء

رمادية، صافيتان جداً. . بين رموش سوداء طويلة، تحت حاجبين كثيفين دقيقين.

لم يكن منفراً. . لم يكن متسخاً، أو زري الملابس. كان وسيماً، ثيابه من نوعية ممتازة. . لكنه لم يكن يرتدي حذاء، بل جورباً رمادياً سميكاً. . لا عجب إذن إنها لم تسمع صوت تحركه.

قالت مقطبة:

ـ من أنت، وماذا تفعل في كوخ جدي؟

إرتفع حاجباه دهشة. . وضحك:

ـ لا أصدق. . لا أصدق أنك حفيدة سيزار هيلست، الشهير. . تبدين مثل المتشردين. . ولباسك رث كذلك.

ردت تهمس في وجهه غاضبة:

ـ متكبر. . متعجرف متكبر. .

دست يدها في جيبها وأخرجت حلقة المفاتيح، ترفع أمامها مفتاح قفل الرتاج لباب الكوخ. وتقدمت نحوه:

ـ أنظر إلى هذا. . إنه مفتاح الباب. . وإذا أحببت أن تجد لي القفل، سأريك أنه يناسبه.

نظر إلى المفتاح بشدة، فأكملت ساخرة قدر استطاعتها.

ـ لكنني أعتقد أنك حطمت القفل حين اقتحمت الكوخ.

في تلك اللحظة عادت الكهرباء للإنقطاع، وحل الظلام مجدداً. فصاحت ڤيرا:

ـ أوه. . ما الذي حدث؟

ـ إنقطع التيار حدث هذا قبل أن تدخلي مباشرة. . شيء ما أصاب المولد. . إلى أين أنت ذاهبة؟

لكنها اصطدمت به قبل أن تقف، وكأنها أصطدمت بصخرة، وتراجعت بسرعة.

ـ سأفتح باب الموقد ليعطينا ناره بعض النور. ثم سأجد المشعل وأنزل إلى الطابق الأسفل لأجد مصابيح الكاز والزيت التي يبقيها جدي جاهزة دائماً.. وهذا سيثبت لك مرة أخرى أنني قريبة لسيزار هيلست، ولي الحق أن أكون في كوخه.

لم يجادلها، بل تنحى جانباً.. فسارت إلى الموقد.. على سطحه وجدت مقبضاً فولاذياً لفتح الباب، فدست طرفه في حلقة حديدية، وجذبت باب الموقد تفتحه. نور النار، حارة برتقالية، إندفعت إلى الأمام.. واشتعل الحطب مجدداً لينير الجدران الخشبية.. مدت ڤيرا يدها خلف الموقد لتضع الحاجز الشبكي أمام النار. ثم اتجهت إلى طاولة زينة، وفتحت درجاً، مدت يدها إليه لتخرج مشعلاً كبيراً أسود اللون.. لكن الرجل إنتزعه منها.. فاستدارت إليه.. ونظرا إلى بعضهما بعداء، ثم قال:

ـ سأحمله أنا.

ـ لماذا؟ أتخاف أن أضربك به؟

إسترخت شفتاه بابتسامة خفيفة:

ـ صحيح.. هناك إمكانيات عنف فيك، لا أثق بها.

ـ أتظنني عنيفة؟ وماذا عنك؟ لقد رميتني أرضاً، وجسمي كله مرضوض.

ـ تلقيت ما تستحقين.. أنت التي هاجمت أولاً، ودون إنذار.

ـ هاجمت دفاعاً عن نفسي.. سمعتك تتقدم نحوي ولربما

كنت ستقفز علي.. ثم أنت الدخيل هنا، ولست أنا. المكان لي.. والآن سأذهب إلى المستودع لأجد المصابيح ولا أستطيع هذا إلا إذا كان المشعل معي.. لذا أعده لي.

ـ لا.. سأضيؤه لك.. كيف تنزلين إلى المستودع؟

ـ عبر الباب في أرض الكوخ هناك.

تقدمت إلى زاوية الغرفة، ورفست بساطاً.. إنحنت لتجد حلقة نحاسية في الأرضية الخشبية.. بينما كان الرجل يوجه نور المشعل، شدت الحلقة، وانفتح الباب عالياً. إمتدت نور المشعل إلى الحفرة، يكشف سلماً خشبياً.. تقدمت ڤيرا إلى السلم.. تعي متأخرة أنه قادر على إقفال الباب عليها وسجنها في الأسفل.. لكن حين وصلت أسفل السلم وجدته يلحق بها.. فارتاحت.

سألها. يدير المشعل حولهما:

ـ أين هي المصابيح التي تكلمت عنها؟.. لم يقل لي سيزار عنها.

ـ إنها هنا.. في الخزانة المبنية في الجدار.

فتحت الباب وأكملت:

ـ ألديك فكرة عما يمكن أن يكون معطلاً في المولد؟

ـ ربما شمعة الإشعال بحاجة إلى تنظيف أو غيار. سأتفحصها إذا استطعت الوصول من خلال الثلج.

رفوف الخزانة كانت مليئة بكل أصناف الطعام المعلب.. الرف الأسفل كان عليه مصباحان زيتيان بزجاجهما المرتفع، طباخ كاز، وغالونين من الكاز.. وحقيبة مضادة للماء والرطوبة فيها ثقاب.

www.elromancia.com مـرومـنـسـيـة

أخرجا كل ما يحتاجانه عبر السلم وأقفلا الباب.

فوق الطاولة أشعلت ڤيرا المصباحين، لينتشر نور أصفر ناعم على الطاولة يكشف رغيف خبز فرنسي، طبق من اللحم المدخّن، قالب جبن جبلي، وسلة صغيرة واسعة من التفاح والبرتقال..

وشهقت، تنسى عدائيتها للرجل الغريب:

ـ يا إلهي! أنا جائعة. أتمانع لو أتناول بعض الخبز واللحم.

ـ تفضلي، سأصنع القهوة.. أتريدين بعضها؟

ـ أرجوك.

إرتشفت ڤيرا القهوة الساخنة، وتناولت قطعة خبز، وقليل من اللحم والجبن.. من تحت رموشها أخذت تتفحص الرجل وهي تأكل.. لكنه لم يكن يعرها اهتماماً، وكأنها غير موجودة هنا.. لسبب ما، أزعجها التفكير بأنه يتعمد تجاهلها.. وقالت:

ـ أظن الوقت حان لتقول لي من أنت، وماذا تفعل هنا.

وقف يحضر شيئاً عن سطح الخزانة، وضعه أمامها: كان القفل لباب الكوخ، ولم يكن محطماً.. ثم أخرج مفتاحاً يماثل مفتاحها.

ـ فتحته بهذه.. أعطانيه سيزار قبل سفره.. وقال لي أنني أستطيع المجيء للإقامة فيه إذا احتجت للخلوة.. هذا الأسبوع أحسست بحاجتي لأكون وحدي. فجئت بالأمس.

قاطعته ڤيرا:

ـ قال لك بالضبط: جحر تختبيء فيه، كما قال لي.. أتصدق الآن أنني حفيدته؟

ـ وهل تصدقين انني لم أقتحم المكان؟

ـ أجل أصدقك، بعد أن رأيت المفتاح.

إبتسمت، تلك الإبتسامة بالدفء السائل، التي تغير وجهها، وتعطيه جمالاً خيالياً.. ثم مدت يدها عبر الطاولة:

ـ أنا ڤيرا هيلست، مارستون.. وأنا آسفة لأنني ركلتك.. كنت متلهفة حين رأيت النور، حين انطفأ فجأة، ظننت أن شخصاً إقتحم المكان، وينتظرني في الظلام ليهاجمني.

بعد تردد صغير أمسك يدها يصافحها.. قبضته قوية، لكن يده لم تبق كثيراً في يدها، صب المزيد من القهوة لنفسه وأخذ يشربها. فقالت:

ـ من المفترض أن تقول لي إسمك الآن.

ـ نادني باتريك.

ـ إسم جديد عليّ.. وكأنه إسم بلجيكي.. وهل أنت بلجيكي؟

ـ لا.. أين تعلمت فنون الدفاع عن النفس؟

ـ إذن تعترف بفعالية ركلاتي؟ علمني جدي بضع حركات وقال إنها مهمة للمرأة للدفاع عن نفسها هذه الأيام.. وأخذت دروساً في فنون القتال في نادي الشركة الرياضي، ويقول المدرب إنني جيدة.

ـ أنت جيدة.. في البداية ظننتك شاب.

ـ الكثيرون يقولون لي هذا، أعتقد لأنني طويلة ونحيلة.. لكنني لم يكن لي فرصة أمامك.. لك جسد قوي، لا بد أنك تمرّنه يومياً.

www.elromance.com

بقي صامتاً، وأنهى قهوته، ثم أفرغ كل ما تبقى في الإبريق في فنجانه.. أثارها صمته فقالت:

ـ لكنك خالفت قواعد القتال باحتضانك لي وتقبيلي.

ـ صحيح؟ لم أكن أدري أن هناك قواعد بالنسبة للدفاع عن النفس.

ـ لماذا فعلت هذا؟

ـ ما أن عرفت أنك امرأة حتى كان علي أن أجد طريقة أهزمك فيها، دون أن أضربك.. تلك الركلة الثانية ضربتيني حيث.. آلمتني وكذلك ركبتك.. كما أنني أفضل عناق النساء بدل ضربهن. فماذا تفضلين أن تتلقي قبلة؟ أم ضربة؟

متجنبة عيناه الزرقاء الرمادية، تمتمت:

ـ أفضل المعاملة كتحد.

ـ أوه.. بكل تأكيد.. لن يعجبك أن أعاملك كرجل.

صمتت لحظات، تبحث عن طريقة لتغيير الموضوع أخيراً قالت:

ـ جدي لم يخبرني يوماً عنك.

ـ ولم يخبرني شيئاً عنك كذلك. ولم أكن أعرف أن له حفيدة وإبنة.

ـ أوه. ليس له إبنة.. فوالدي كان إبنه الوحيد، ستيف هيلست.. كان مستكشفاً ومصوراً تلفزيونياً قتل في حادثة فوق جبال الهملايا.. فيما بعد تزوجت أمي برجل تبناني، لهذا أحمل إسماً آخر إضافة لهيلست.. متى وأين التقيت بجدي؟

ـ منذ سنتين في سويسرا، في منتجع للتزلج، وقع وآذى ساقه، فتقدمت وساعدته.. وبقينا على اتصال.

ـ أتسكن هنا؟

ـ عشت في أوستراليا لسبع سنوات خلت.. ثيابك مبللة جداً، وبدأ البخار يتصاعد منها.

نظرت إلى سترتها، كانت بالفعل قد بدأ تصاعد البخار منها في حرارة الغرفة. فتمتمت:

ـ لا بد أنني أبدو مشعثة جداً.

ـ هذا صحيح.. هل ستبقين الليلة هنا؟

ـ طبعاً.. لهذا جئت إلى هنا. لأبقى بضعة أيام.. فهل من اعتراض؟

ـ لو أن لي إعتراض وقلته لك، لقلت أن لا حق لي لأعترض كيف وصلت إلى هنا؟

ـ بالسيارة، إلى أن اضطررت لتركها في حفرة. وعلى الأرجح لن أستطيع العودة إليها قبل ذوبان الثلج.

وماذا عنك، كيف وصلت إلى هنا؟

ـ بالسيارة أيضاً، ودفنها الثلج كذلك.. وأتمنى أن يذوب الثلج قبل الإثنين لأنني مضطر للعودة إلى أوستراليا.

ـ إذا لم يتوقف الثلج، فقد نجد نفسنا عالقين معاً لبضعة أيام.. يجب أن أخلع ثيابي هذه.. أية غرفة كنت تستخدمها؟

ـ التي في المؤخرة.

ـ إذن سأنام في غرفة جدي.. وأرجو أن أجد فيها شيئاً ألبسه، فقد نسيت أن آتي معي بثياب.

www.elromancia.com

- أستطيع إقراضك شيئاً. . بنطلون جينز وكنزة.

- شكراً لك، لطف منك. لكنني تذكرت أن جدي يترك دائماً ملابس في خزانة البطانيات في غرفته، أعتقد أنني سأجد شيئاً هناك.

في الغرفة وجدت أن كل ثياب جدها كبيرة عليها فهو رجل ضخم وطويل القامة. . لكنها وجدت ثوب نوم لها، كانت إرتدته يوماً حين أمضت بضعة أيام مع جدها هنا بينما كانت أمها وزوجها مسافران إلى الخارج.

وبدأت تخلع ثيابها المبتلة.

❋ ❋ ❋

- ٢ -

الإنتقام

تعرت فيرا من ثيابها وحملت القنديل إلى المرآة المعلقة على باب خزانة الملابس. كما توقعت، كان على وركها الأيسر كدمة حمراء قانية، نتيجة وقوعها على الأرض، لكن كان من المستحيل أن ترى ما إذا كان هناك كدمات أخرى في مؤخرتها أو ظهرها. . وهمست بقسوة:

- حيوان مفترس!

في خيالها كانت تكلم الرجل في الغرفة الأخرى الذي تحد مخاشنتها وتقبيلها كي يشلّ حركتها ما أن اكتشف أنها امرأة.

ثم تذكرت ما الذي حدث حين أغمضت عينيها وتظاهرت بالإغماء وهي تحته، وكيف أن خشونته تغيرت، وكيف أن يداه تحركتا تداعبانها. . تذكرت كيف أنها تشوقت للتجاوب مع أحاسيس أحست بها. وكيف أن توحده كانت تصرخ لها بصمت في الظلام، وكيف أن هذا لامس قلبها الرقيق الضعيف.

إرتجفت للذكرى، والهواء البارد، واهتز القنديل في يدها.

www.elromancia.com

فوضعته على طاولة الزينة، وأخذت تدس ثوب النوم فوق رأسها.. إنه ثوب مصمم على الطراز الذي كانت ترتديه النساء الريفيات في العصر الڤيكتوري.. لتدفئتهن في الفراش في وقت لم يكن هناك وسائل تدفئة في المنازل الخشبية التي يسكنها في الشمال البارد، هذا الثوب، هدية من أمها لها منذ خمس سنوات.

منذ ارتدت آخر مرة، أصبحت ڤيرا أطول قامة ونضج جسدها أكثر.. هكذا اضطرت إلى المقاومة الشديدة لتدخل ذراعيها في الكمين، وتشده من فوق كتفيها.. النتيجة كانت كمين قصيرين جداً، طوله لا يصل ركبة الساق، ولم تستطع إقفال أزرار الصدر، وكانت كلما تحركت يظهر صدرها من فتحاته.

لم تستطع سوى أن تضحك على مظهرها وهي تربط شعرها بذيل طويل خلف رأسها. التغيير هذا غيّر مظهرها. ما عدا أن صدرها يكاد يشق الفستان، وبدت كمراهقة بريئة متزمتة.

أخذت ملابسها الرطبة معها وعادت إلى الخارج سعيدة لوصولها إلى الدفء المريح. كان باتريك قد نظف الطاولة وغسل الصحون والفناجين. وجلس عند الطاولة مستغرق في قراءة كتاب.. علقت ڤيرا ملابسها على ظهر كرسيين وقربتهما إلى الموقد، ثم نظرت إليه.

كان ينظر إلى قدميها العاريين، ثم إلى الأعلى، نظر إلى ساقيها قليلاً، قبل أن تتحرك عيناه إلى الفتحة غير المزررة من ثوبها.

ـ ماذا ترتدين؟

ـ ثوب نوم قديم لي. مثير.. أليس كذلك؟

ـ هذه ليست بالكلمة المناسبة لوصفه.

وعاد إلى قراءته. جرّت ڤيرا كرسياً هزازاً إلى قرب النار وجلست. رفعت ركبتيها، ووضعت قدميها على المقعد، تشد تنورة الثوب قدر ما تستطيع إنزالها، ثم لفت ذراعيها حول ركبتيها، وأخذت تهتز إلى الخلف والأمام تراقب باتريك من تحت رموشها.

ضاقت عيناها، وشدت على شفتيها.. لا زال لديها ذلك الإنتقام تتفوّه عليه لمعاملته الخشنة.. ماذا تستطيع أن تفعل لمعاقبته.. ببطء عادت شفتيها للتكور مجدداً لو تستطيع قيادته، إغواءه، ليقبلها ثانية، ثم تصده موبخة.. هذا هو انتقام.

بدأت تغني لنفسها.. أغنية حب ناعمة حنونة.. طوال الوقت كانت تراقبه.. كانت واثقة أنه لم يكن يقرأ بل كان يصغي إلى الأغنية تكرر مقاطعها متمنية لو أن معها الغيتار ليرافقها:

«كيف عانقتني.. كيف قبلتني.. بخجل، وكأننا لم نكن يوماً عاشقين»..

إيقاع صوتها الحنون العميق، بدا وكأنه معلق في صمت الغرفة، بعد لحظات طويلة من إنهاء الأغنية. لكنه لم يرفع رأسه، ولم يعلق. مع ذلك، كانت واثقة أنه تأثر بالأغنية، لأن حاجباه إنعقدا معاً، واشتدت يداه التان تسندان صدغيه إلى أن ظهر البياض على عقد أصابعه.. سألته ڤيرا:

ـ أنت متزوج؟

رد بحدة:

ـ لا.

ـ ولا أنا.. لكن من المفترض أن أتزوج غداً في الحادية عشرة صباحاً.. في نيوكاسل.. حيث أعيش.

ـ لاحظت وجود خاتم الخطوبة.

فتحت يدها، ورفعت أصبعها أمامها تحدق بالخاتم.

ـ خاتم جميل.. أليس كذلك؟ لكنه لا يعني لي شيئاً.

رد بلهجة مؤنبة:

ـ بكل تأكيد يعني شيئاً للشاب الذي اشتراه لك... على الأرجح كلفه بضع مئات من الجنيهات.

ـ أوه.. جايمس لم يكن مضطراً سوى لدفع تكاليف صياغته، فالألماسة ملك لعائلته.. وما عنيته أن إعطاءه لي لا يعني أي شيء له.. فهو لم يعطني اياه عربون حب، بل لأن الألماس هو الشيء التقليدي يعطيه لإمرأة طلبها للزواج، وقبلت طلبه.. وجايمس من عائلة تقليدية محافظة.. أتعلم، أنت كغريب لك لهجة رائعة في الإنكليزية.. هل أنت واثق أنك لست بلجيكي؟

ـ لست بلجيكياً.. إذا كان من المفترض أن تتزوجي في الغد، فماذا تفعلين هنا؟

نظرت إلى النار، وقطبت متوترة.. ثم تمتمت:

ـ ليلة أمس، قررت أنني لا أريد الزواج.. قررت أنني بحاجة إلى مزيد من الوقت للتفكير. لا أستطيع أن أعد رجلاً لا أحبه بالإخلاص.. لذا اضطررت إلى الهرب..

ـ هربت؟ أتعني أنك جئت إلى هنا دون إخباره أو إخبار أحد؟

ـ أجل.. أنا هكذا، أقوم بأعمال متهورة.

خلعت خاتمها من إصبعها الثالث لتضعه في الإصبع الأوسط لليد الأخرى.

ـ هاك... لم أعد مخطوبة له.. أتعلم أنت متحفظ جداً.

ـ متحفظ؟

ـ متكتم حول نفسك، قد أظن أنك هنا في البلاد بشكل غير قانوني.. أو أنك جاسوس، هذا إذا لم تكن منفتحاً قليلاً. جدي يعرف أشخاصاً كثر من هذا النوع.

ـ لكنني لست جاسوساً. ولا أريد أن أكون، ولست هنا بطريقة غير قانونية، لدي جواز سفر مصدق، وأنا هنا زائر لقضاء عطلة الأسبوع.

ـ أين تعمل حين لا تكون هنا؟

ـ في أوستراليا.

ـ وما نوع عملك؟

ـ مهندس!

ـ زوج أمي، فيليب مارستن مهندس كيماوي.

ـ مصنع كيماويات مارستن؟

ـ أجل.. أعمل عنده مديرة قسم في المصنع..

ـ ما هو اختصاصك.. كمهندس؟

إشتد سخطاً، وصفق الكتاب ليدفع كرسيه إلى الوراء، ثم حمل الكتاب وأخذ يسير مبتعداً:

ـ إلى أين؟

www.elromancia.com مرومانسية

ـ أبتعد عنك، جئت إلى هنا لأبتعد عن تطفل الناس.

ـ لكنك ستحتاج إلى ضوء.. انتظر سأحضر لك شمعة.

وجدت له شمعة في أحد الأدراج، وأشعلتها له.. كان يقف بباب الغرفة الأخيرة يراقبها، فتقدمت نحوه تحمي اللهيب بيدها وتقول:

ـ هاك الشمعة. سأضعها على الطاولة قرب السرير.

وتجاوزته إلى داخل غرفة النوم. لتضع الشمعة فوق الطاولة وتنحني على السرير ترفع الغطاء عنه فسألها بخشونة:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ أحضر لك الفراش.. كما يجب على مضيفة طيبة أن تفعل.

ـ لكنك لست المضيفة هنا.

ـ أنا المضيفة في غياب جدي.

أخذت تلاحظ أن محاولاتها المتعمدة لإثارته، كانت تسبب لها خفقان قلبها، وحرارة غريبة تجتاح جسدها.

برفعها للأغطية جانباً، إستدارت تواجهه، كان قريباً جداً منها، يداه على خصره، عيناه تلمعان تحت رموشه السوداء.. وكانت متأكدة أنه يعي رائحة شعرها، ورائحة بشرتها الأنثوية.. هذا إذا لم تكن قد طغت عليها رائحة كرات «النفتالين» العالقة في فستان نومها.. إنخفضت رموشها فوق عينيها السوداوين.. وقالت بنعومة:

ـ لم أكن أريد التطفل باتريك.. لكنني مهتمة بك.. حقاً مهتمة..

رد عبر أسنانه الملتصقة:

ـ أخرجي من هنا.

ـ وإذا لم أخرج.. ماذا ستفعل؟

ـ سأهاجمك ثانية.. وتعرفين كم ستكرهي ما سأفعل من الأفضل لك الخروج الآن وأنت قادرة.

الموقف كله، كان يخرج من سيطرتها.. لا يسير بالطريقة التي خططت لها.. وكأنما خمن ما تحاول أن تفعل، ويجاريها في لعبتها.. تحرك مقترباً بطريقة مهددة وسأل:

ـ ألن تخرجي؟.

ـ أنا.. لا أستطيع.

كانت تعرف أن عليها أن تتراجع، لكن ساقاها رفضا الحركة وارتفع رأسها إلى الوراء رغماً عنها، ليصبح فمها منفرجاً متجهاً نحوه.. عبر غطاء رموشها شاهدت عيناه تفقدان برودتهما ليحل مكانها نار زرقاء، وامتدت يداه تشدانها إليه..

تنهيدة طويلة هزتها، وأغمضت عينيها تضغط نفسها إليه.. كل تفكير بالإنتقام تلاشى من تفكيرها.. ما من رجل عانقها بمثل حرارته من قبل، وأغرب جزء من كل هذا، هو أنها لم تكن راغبة في الإعتراض أو المقاومة.

إقتربت شفتاه من خدها، ثم تركتاه إلى عنقها.. فتأوهت، ودست يدها في حرير شعره الكثيف.. ورفع رأسه، أنفاسه حارة على بشرتها، وهمست له:

ـ ألا زلت تريدني أن أخرج؟

www.elromancia.com

تمتم:

- لا.. لكنني لا أريد أن أتركك هنا كذلك.

- لكنني أريد البقاء معك.. وأعرف أنك تريدني.. تريدني.. وأريدك.

همس بشيء في لغة غريبة، ودس يداً في شعرها يشد رأسها إلى صدره إلى أن أحست بالدوار.. عبر هذا الدوار الذي غلق تفكيرها، أحست أنه رفعها بين يديه.. وعرفت رفرفة الإنتصار.. هذا بالضبط ما كانت تأمل أن يفعله.. أملت أن يحملها إلى الفراش، يداعبها، ودفنت وجهها في عنقه تتنشق رائحة بشرته، وكأنها تتنشق المخدر.

فجأة، صدمت قدماها الأرض.. وتركتها ذراعاه.. ترنحت قليلاً وفتحت عينيها.. كانت تواجه الباب، تنظر إلى نور القنديل الأصفر في غرفة الجلوس.

قالت:

- ماذا..

إنقطع كلامها بحيرة، حين تلقت دفعة قوية من الخلف حتى أنها ركضت إلى الأمام لتصل غرفة الجلوس... إستعادت توازنها بسرعة لتستدير وتواجهه.. كلمات الإحتجاج تقفز إلى شفتيها، لكنها لم تتفوه بها، فقد صفق الباب في وجهها، ووقفت فاغرة الفم مشدوهة تسمع صوت الرتاج من الجهة الأخرى.. لقد أقفل الباب عليها.

الإذلال كان كدوش ماء بارد ينهمر عليها.. يبرّد لهيب

الرغبة.. وتناثرت الدموع من عينيها. الإنتقام الذي خططت له إرتد عليها.. وتلقت هي الصد المرير..

تأوهت معذبة، ماذا فعلت؟ لا تريده لا تريد أن يفكر بها بسوء، بل العكس، تريده أن يُعجب بها.. لكن كيف يمكن أن تقنعه الآن أن رغبتها في البقاء معه نابعة من اندفاع حقيقي.. كرد فعل دافيء محب، للحاجة إلى الحب.. نفس الإحساس الذي لاحظته فيه.

أقفلت أبواب الموقد.. وأطفأت القنديل على الطاولة نور أصفر ضئيل كان يتسلل من باب غرفة جدها المفتوح حيث تركت القنديل والآخر. دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها.. جذبت المفارش، تحضّر نفسها للبرودة، ثم تسللت بينها.. ما هي إلا دقائق حتى كانت نائمة.

إستفاقت ڤيرا على صوت طباخ الكاز في المستودع تحت غرفتها.. فتحت عينيها، لترفرفهما أمام بريق النهار المتدفق إلى الغرفة عبر النافذة المزدوجة الزجاج. كانت نور الشمس الساطعة تنعكس فوق الثلج الأبيض.. العاصفة إنتهت والسماء زرقاء لا غيمة فيها.

آثار زلاجات فوق الثلج تتجه إلى السقيفة التي تحتوي المولد، أعلمتها أن باتريك قد استيقظ وأشعل الطباخ في الأسفل، ليدفيء أرض غرفتها وأنه ذهب إلى السقيفة ليصلح المولد.

في غرفة الجلوس، كانت الشمس تسطع فوق الجدران الخشبية، وتلمع فوق المطبخ. رائحة القهوة كانت تملأ الجو..

www.elromancia.com مـرومـانـسـيـة

الطبّاخ الآخر، الحطبي، نظيف، وحطب جديد مُعدّ للإشعال.. صبت القهوة في كوب خزفي، ووقفت تشربه مستندة إلى المغسلة.

باتريك، كان مشغولاً جداً.. أصلح المولد، حضّر الفطار، حضر النار، نظف كل شيء. وترك لها القهوة..

كم من الرائع أن يكون هناك رجل في الجوار.. خاصة حين يكون رجلاً عملياً. فجأة توقفت عن دندنة أغنية.. المكان صامت جداً.. باتريك ليس هنا.. أين يكون إذن؟

دخلت غرفته، وأطلقت تنهيدة إرتياح لرؤية الكنزة والبنطلون اللذان كان يرتديهما بالأمس. تقدمت إلى خزانة الملابس، وفتحت الباب، ثياب معلقة ومرمية إلى الأرض وحقيبة.. رفعتها.. لتجدها فارغة.

إذن لم يغادر المكان. إنه هنا في مكان ما.. ربما في سقيفة المولد.. في طريقها إلى الباب، رأت على خزانة أشياء شخصية لباتريك علاقة مفاتيح، ساعة بحزام جلدي، وجواز سفر رقيق كحلي عليه الشعار الأوسترالي وكلمة «جواز سفر» بالإنكليزية.

إلتقطت الجواز وفتحته.. في الصفحة الأولى وجدت صورة له في الصفحة المقابلة وصف دقيق لحامل الجواز. قرأت: الإسم باتريك بريتان.. تاريخ الولادة.. وحسبت بسرعة، أنه في الواحدة والثلاثين. أكبر منها بعشر سنوات.. مولود في إسبانيا، مدريد، في آخر يوم من شهر كانون الأول.

أرجعت الجواز مكانه، واستدارت نحو الباب.. ثم شهقت.. كان باتريك يقف بالباب يراقبها بعينين باردتين

عدائيتين.. وغاص قلبها.. لقد ضبطها تتلصص.. وهي من كانت تأمل من كل قلبها أن تصلح موقفها معه.. والآن سيفكر بها أسوأ من قبل.. وسيرغب فعلاً بالرحيل.

كان يتقدم منها والوعيد في كل خطوة. كان يرتدي بذلة تزلج سوداء جعلته يبدو شريراً أكثر. شيطان مع قطعتي ثلج مكان عينيه.. لكنها لم تتراجع عنه.. لم يكن من طبعها أن تتراجع أمام أي خطر من أي نوع..

قالت ترفع رأسها:

ـ هناك تفسير.. هذا إذا اهتممت أن تسمعه.

ـ تفضلي.. فسّري.

ـ لم أدخل هنا لأتجسس.

ـ لماذا إذن؟

ـ ظننتك رحلت، فجئت لأتأكد من وجود أغراضك.

ـ وتتوقعي حقاً أن أصدقك؟

صاحت غاضبة:

ـ لا يهمني صدقتني أم لا. لكن هذه هي الحقيقة. وكنت على وشك الخروج حين رأيت جواز سفرك.. ولم أستطع منع نفسي من النظر فيه.. أردت معرفة إسمك الأخير ومن أي بلد أنت.. هل أنت خائف أن أتعرف على إسمك؟ إطمئن إذن، نحن لا نعرف الكثير عما يجري في إسبانيا.. ماذا فعلت؟ سرقت مصرف؟

ـ لا.. أنا لست جاسوساً، ولست لصاً.

ـ إذن أنت عضو في حركة إنفصالية، في الباسك، ولاجيء إلى أوستراليا؟

ـ لا.. أنا لست هكذا، ولا أهتم بالسياسة أو المنظمات الإرهابية. وكما رأيت، أنا مولود في إسبانيا لكنني مواطن أوسترالي. ماذا أنت بحاجة لتعرفي بعد؟ أنت مزعجة لعينة أتعرفين هذا؟ لا أريدك أن تدخلي هذه الغرفة مرة أخرى هل هذا واضح؟

إستدار وكأنما سيغادر الغرفة، ثم ارتد نحوها، نظر إليها وكأنه يكرهها، شيء ما في داخلها صاح معارضاً هذه النظرة المريرة.. إنها تريده أن يُعجب بها، أو حتى يحبها.

وقال لها:

ـ لماذا جئت إلى هنا؟ لماذا لم تهربي إلى مكان آخر؟ كنت آمل حقاً أن أكون لوحدي.

تمتمت:

ـ لا أستطيع منع نفسي أن أكون ما أنا.. لا أستطيع منع نفسي أن أكون ودودة غير متحفظة، وفضولية حول الناس.. أردت معرفة كل شيء عنك.. لأنني.. لأقول الحقيقة، تعجبني كثيراً.

ـ كيف يمكن أن تعرفي هذا؟ لم نلتقِ سوى ليلة أمس. ولم يكن اللقاء ودياً.

تشجعت لقول المزيد:

ـ أعرف أنني معجبة بك لأن هذا إحساس هنا..

وضعت يدها على المكان الذي تعتقد أنه يحتوي قلبه:

ـ حين عانقتني.. أعني المرة الثانية في الغرفة، وبكل رغبة، لم أنسحب ولم أضربك كما كنت أنوي.. تركتك تفعل ما تشاء.. لكنك أبعدتني، وكأنني قطة شاردة تسللت إلى غرفتك.

إتسعت عيناه دهشة، وارتفع حاجباه:

ـ أتعني أنك كنت تنوين إغوائي ثم ضربي؟ يا إلهي! أنت إمرأة غريبة الأطوار.. لماذا أردت شيئاً كهذا؟

ـ كنت أحاول الإنتقام منك لما فعلته بي خلال المعركة.

ـ لا أفهمك.

ـ لا أعتقد أنك ستفهم. حين استخدمت طريقة حقيرة لهزمي ولإجباري على وقف القتال.. أذللتني، ورغبت أن أذلك، لكنني تعرضت للإذلال مرة أخرى حين أبعدتني من الغرفة.

صمتت وقد ارتجف صوتها، واستدارت عنه تنظر من النافذة إلى أشعة الشمس المبهرة فوق الثلج.. حين كلمها، كان هادئاً لطيفاً وكأنه يكلم طفلة:

ـ لم أكن أقصد إذلالك، أول مرة حاولت الدفاع عن نفسي دون الإضطرار إلى ضربك.. في المرة الثانية، أنت محقة، كنت راغباً بك.. وأردت أن آخذك إلى الفراش.. لكنني أخرجتك من الغرفة لأحميك، وليس لإذلالك.

ـ تحميني؟ ممن؟

ـ من نفسي. كنت تعرضين نفسك للخطر بالرغم عنك.

ـ لا.. لا.. ما كان هذا بالرغم عني.. أترى.. أظنني وقعت في الحب، لأول مرة في حياتي.. أحببتك!

www.elromancia.com

- أحببتني.؟ أعرف تماماً الآن أنك مجنونة. أنت لا تعرفيني سوى منذ ساعات، ولا يمكن أن تحبيني.

- لكنني أحبك.. ما من رجل أثارني هكذا من قبل.

- ولا حتى خطيبك؟

- ولا حتى جايمس.. لا شيء كان يحدث داخلي حين كان يعانقني.. أنا لم أحبه يوماً. لذا قررت أن لا أتزوجه. إنه لا يثيرني.

- إرتفعت شفته سخرية:

- وأنا.. أثيرك؟ توقفي عن محاولة إغرائي! أنت مخطوبة!

- لقد فسخت خطوبتي ساعة هربت.. وأنا لا أحاول إغرائك، أرجوك حاول أن تفهم، أنا لم أعد مراهقة أتخبط في الخيال، أنا إمرأة ناضجة، حرة أن أفعل ما أشاء وأحب من أشاء.. وأنا أكثر من راغبة في حبك.. لكن أنت فقط.

إبتسم ساخراً:

- هذا شرف لي.. لكنني الآن أفضل أن أخرج لأتزلج.

- سأرافقك.

- لا أستطيع منعك، أنت حرة لتفعلي ما شئت.

إستدار على عقبيه وغادر الغرفة، لحظات فيما بعد سمعت إقفال الباب.. إنه ذاهب دونها.. فأطلقت آهة إحباط، وضربت رأسها بيدها.. لقد أساءت التصرف مرة أخرى.. إنفتاحها وصراحتها أزعجته.

* * *

- ٣ -

الفراق

كانت أشعة الشمس تنبعث من سماء زرقاء صافية، لتنعكس فوق الثلج مرسلة لمعاناً كلمعان الألماس.. لم يكن هناك ريح أبداً. الصوت الوحيد عدا حفيف الزلاجتين فوق الثلج، كان زقزقة عصفور صغير يقفز من غصن إلى آخر فوق الأشجار المنتشرة حول الكوخ وعلى طول الطريق.

بعد لحاقها بآثار زلاجتي باتريك لما يقرب من الساعة، إضطرت للإعتراف أنه يسبقها بكثير.. فوقفت تستريح في فسحة في الغابة، ولتشرب قليلاً من القربة المعدنية التي ملأتها عصيراً، وأكلت سندويشاً، وهي تفكر به باكتئاب.

إنه لا يريد صحبتها.. وليس معجباً بها.. لا بد أنه يعتقدها سوقية، تعوزها الحساسية، لأنها اعترفت له أنها تحبه.. أوه لماذا لا تستطيع السيطرة على لسانها؟ لماذا لا تتصرف باتزان أكبر؟ لماذا لا تكون أنثوية أكثر، كما تقول أمها؟

بعد نصف ساعة، وصلت إلى نهاية الأثر.. ولم يكن باتريك

www.elromancia.com

موجوداً.. أسندت نفسها على عاصتي التزلج، تنظر إلى المنحدر في الأسفل.. هناك آثار تزلج تتجه إلى الأشجار.. لقد اتجه باتريك إلى حيث حذرها جدها أن تذهب، كي لا تقع وتكسر قدماً أو ساقاً أو أي شيء. لكن الخطر هذا لم يمنع باتريك من إكمال التزلج، فلماذا يمنعها؟ أمسكت عصايتها، وبدأت تتزلق المنحدر بحذر.. حركة بين الأشجار لفتت نظرها.. فوضعت يديها حول فمها تصيح:

ـ أنا قادمة.. إنتظرني!

لم يكن سهلاً أن تتبع آثاره، لكنها أخيراً تمكنت من تجاوز المنطقة الصخرية، ثم الحرجية.. كان أمامها منبسط ناعم من الثلج، قبل الوصول إلى النهر المتجمد في أسفل الوادي.. واندفعت بثقة إلى الأمام، بالتدريج أخذت تلتقط السرعة، وكأنها تهبط من تل مرتفع. بيأس غرزت عصاتيها في الثلج تحاول التوقف، وفكرت أن ترمي بنفسها جانباً.. فجأة، صدمت أحد زلاجتيها صخرة مخبئة، واندفعت إلى الأمام متشقلبة، لتحط على ظهرها.

رقدت دون حراك.. خائفة أن تتحرك كي لا تحس بكسر قدمها أو ساقها أو ذراعها. نظرت إلى السماء.. لون زهري خفيف كان قد بدأ يتكوّن فيها، يحذّر أن الشمس قد بدأت تهبط إلى المغيب.. وتساءلت ما إذا كان باتريك قد شاهدها تقع.. وهل سيأتي لنجدتها؟ أم أنه تابع طريقه بعد أن لوحت له؟

رفعت رأسها ببطء، ثم أرجعته.. إنه قادم.. رأت رأسه

وكتفاه فوق انحناء المنحدر الثلجي.. إبتسمت بخبث، وتزايدت دقات قلبها.. أغمضت عينيها، وفغرت فمها كأنها فاقدة الوعي.. فقد يكون هذا وقت ملائم للمكر وإدعاء العجز.

خشخشت بذلة الثلج، وهو يركع أمامها، فتحت رموشها قليلاً لتنظر إليه، خلع قفازيه، والتفت إليها، فسارعت لإقفال رموشها.

قال بنعومة:

ـ ڤيرا؟

وأحبت الطريقة التي تلفظ بها بإسمها.. فقد أطال الياء وشدد على الراء وكأنها مكررة.. إسم أنيق على الطريقة الإسبانية.. ثم كرر:

ـ ڤيرا.؟ هل أنت مصابة؟

أخذ يخلع زلاجتها اليمنى، وحضرت نفسها لأي ألم قد تحس به، وأخذ يلامس ساقها ليعرف ما إذا كانت مكسورة.. ثم أجلسها إلى جانب الساق الأخرى وخلع الزلاجة عنها، وأحست بأصابعه تتلمس كامل القدم، وتسلل صعوداً إلى الساق.. مرة أخرى لا ألم.. ساقاها ليسا مكسورين.. وتحسس ذراعيها مع نفس النتيجة.

بعد هذا، بقي صامتاً لفترة طويلة حتى أنها فتحت عينيها لترى ماذا يفعل، كان يجلس ينظر إلى وجهها، فأغمضتهما بسرعة.. ومرت اللحظات بصمت، وأخذ الجو يبرد.. إستطاعت ڤيرا أن تسمع الثلج يطقطق وهو يتجلد.. وأحست بأطراف أصابع يديها

وقدميها تتخدر. . يجب أن تتحرك بسرعة لتعيد دورتها الدموية إلى الحركة. . تأوهت. . وتركت رموشها ترتجف.

ـ كفي تظاهراً. . أعرف أنك غير مغمى عليك، وكما عرفت لم ينكسر فيك شيء.

صوته كان جافاً. . وفتحت عينيها. . الثلج خلفه، أخذ ينقلب إلى لون زهري كالسماء، وبدا عليها مجرد شكل أسود. . وتأوهت ترد عليه:

ـ ما عدا مؤخرة رأسي وعنقي. أوه. . أظنني كسرت رقبتي. . أحس بألم لدى تحريكها.

رد دون إشفاق:

ـ لو كسرت رقبتك، لما استطعت تحريكها أو الكلام معي. لكنني مندهش أنك لم تكسري شيئاً.

ـ أردت اللحاق بك، حاولت هذا طوال بعد الظهر. . لكنك كنت تنطلق بسرعة.

ـ هيا. . إجلسي. . سأساعدك على وضع الزلاجات في قدميك.

همست:

ـ لا أظنني قادرة على الحركة. . أرجوك ساعدني على الجلوس.

أمسك كتفيها وشدها إلى وضعية الجلوس. فتذمرت:

ـ لا حاجة لأن تكون خشناً هكذا. رأسي وعنقي يؤلماني حقاً. . أظنني صدمته حين كنت أتقلب.

أحست بأصابعه ترفع شعرها الكثيف عن مؤخرة عنقها:

ـ هنا؟

أصابعه لامست العنق، ثم أخذت تدعكه، وأخذ يهبط بأصابعه إلى ما تحت ياقة الكنزة حتى أعلى العمود الفقري. فتراقصت قشعريرة لذيذة على طول أعصابها، ورفعت رأسها تنظر إليه. . لامس خدها فكه، فأحست بإحساس آخر جعلها تشهق. . فتراجع مسرعاً. . وسأل:

ـ هل لامست المكان الصحيح للألم؟

تنهدت:

ـ أوه. . أجل. . أرجوك، إفعل هذا ثانية. . كان مريحاً جداً.

ضحك بخشونة، ولامس مؤخرة عنقها ثانية، تتحرك أصابعه بحساسية على بشرتها. . التجاوب للمساته غمرها. . ولم تعد تحس بالبرد، وكأنما أصابعه إتصلت النار فيها، وأسرعت النار للإلتهاب، تمحو كل حذر أو تعقل. . أحست أنها حيّة، كما لم تشعر في حياتها. . الرغبة في أن تظهر له أنها ترحب في أن يأخذ منها ما يريد، ضجت في رأسها حتى أنها ترنحت، فترنح معها، وانهارا معاً فوق الثلج، لينخفض السطح الهش تحت ثقلهما، وكأنهما يستلقيان على فراش ناعم.

بخفة نثرات الثلج، وبحرارة جمر الفرن، أخذت شفتاه تستكشفان وجهها. . وتدفقت نار حلوة في عروقها، حاد تذيب عظامها، لترخي كل أعصابها. . وأخذا يتدحرجان معاً، في عناق محموم مرات ومرات فوق الثلج، كل منهما يحاول السيطرة على الآخر. . ليتوقفا في النهاية، وكأنما باقتناع مشترك، ليستلقيا وجهاً

www.elromancia.com

لوجه.. وكأنهما نصفين لجسد واحد.

همس في أذنها:

ـ لا نستطيع فعل شيء هنا.

ـ بلى.. نستطيع.. وأريد أن أفعل.

ـ لا.. ستتجمد حتى نموت.. لنعد إلى الكوخ، حيث الدفء والراحة.

إبتعد عنها، فأمسكت بطرف سترته تمنعه من الوقوف:

ـ أحبك.

ـ لا.. لا تحبيني.. ما نفعله الآن لا علاقة له بالحب.

ـ لكنه هكذا بالنسبة لي.

ـ ليس بالنسبة لي. الحب، الحب الحقيقي، لا يشتعل فجأة دون سبب.. وهو أكبر بكثير من رغبة جامحة نحو شخص آخر، وهذا ما نحن فيه الآن.

ـ وكيف تعرف؟ هل أحببت يوماً.. حب حقيقي؟

ـ أجل.

إستدار إلى زلاجتيه.. ووقفت معه، أحست بالدوار، وكأن مطرقة تضرب بانتظام في مؤخرة رأسها.

عاد إليها باتريك بزلاجتيها، ووضعهما أمامها على الثلج. وساعدها على وضعهما في قدميها وأعطاها العصاتين، بصمت..

سألته وهو يستعد للإنطلاق:

ـ لماذا ليست معك؟

ـ من؟

ـ المرأة التي تحبها.. فلو كنت تحبها حقاً، فلماذا لم تأت بها لتعيشا معاً في الكوخ.

لم يرد.. بل انحنى يتفحص رباط زلاجته.. ثم سألها بأدب متجمد:

ـ أتظني نفسك قادرة على تسلق المنحدر؟

ـ سأحاول.

ـ سأتقدمك.. لا أريدك أن تقعي مرة أخرى.

صعد المنحدر وكأن الشياطين تلاحقه، ولحقت به ڤيرا، تكبح اندفاعاً لتهيل اللعنات على رأسه.. لكل حركة كانت تقوم بها كانت تؤلم كدماتها ومفاصلها.. تصميم عنيف وحدة، لتظهر للرجل أمامها أنها قادرة على أن تفعل ما يفعل، هو الذي جعلها تبقى مندفعة.

إلى الوقت الذي استطاعت فيه رؤية الكوخ، والبحيرة المتجمدة خلفه، كان باتريك يبتعد عنها ربع ميل.. خارج الباب، نزعت المزلاجين.. حين استقامت بدأ رأسها يدور.. تعثرت لتصل إلى الباب، وفتحته فاندفعت حرارة الداخل إليها.. بتركيز كبير، خطت إلى الأمام.. لكن نوعاً من الضباب ملأ دماغها.. ليسد أمام عينيها كل شيء.. فنادت:

ـ باتريك..

وانهارت على الأرض.

لم يغمى عليها تماماً، لكن، مضى وقت قبل أن يتوقف السقف عن الدوران، وتمكنت من التركيز على وجه باتريك الراكع قربها.

www.elromancia.com

- ماذا حدث؟

- كل شيء أصبح ضبابياً ويدور حولي.. أوه.. أعرف أنك لا تصدق شيئاً أقوله.. لكنني فعلاً صدمت مؤخرة رأسي حين وقعت.. ويمكن أن أكون مصابة بارتجاج.

- إذن يجب أن تذهبي إلى الفراش وترتاحي.

ساعدها لتصل إلى السرير، وخلع لها حذائها الثقيل. ثم جوربها الطويل حتى الركبة.. وضع وسادتين على مسند السرير وأمالها نحوه. أطاعته بكل إذعان، مندهشة من طاعتها.. رفع ساقيها على الفراش وبدأ يفك الحزام من فوق بنطلونها، فشهقت تتراجع:

- ماذا تفعل؟

- أساعدك على الخلاص من ثيابك المبتلة.

دائخة، غير قادرة على المقاومة، تراجعت على الوسائد وتركته يكمل ما بدأ به.. لكن بوصوله إلى الكنزة، وهي تعلم أنها لا ترتدي شيئاً تحتها تراجعت مجدداً.

- لست عاجزة تماماً.. سأخلعها بنفسي.. أرجوك أن تبتعد.

- لا..

- لكنني لم أعد دائخة.

مد يده يمسك أطراف الكنزة ويهمس:

- هيا، إرفعي ذراعيك.. لو كنا نتغازل الآن لما اهتممت بما أفعل.. أليس كذلك؟

- أوه.. أرجوك إبتعد.

ضحك من أعماق حنجرته.

- لست شاباً مراهقاً يثيرني منظر إمرأة عارية.

- أوه.. أكرهك. إبتعد عني.. إبتعد.

في طريقه إلى الباب وثيابها المبللة في يده، إستدار ينظر إليها:

- أتذكر ما قاله الشاعر: النساء دائماً متقلبات متغيرات.. وكم هو محق في هذا.

أقفل الباب وراءه.. بألم نزلت ڤيرا من السرير وتقدمت إلى الخزانة، تخرج أحد قمصان جدها. فمن الأسهل لها ارتداءها بدل ثوب نومها، وسيبدو وكأنه روب.. ثم غادرت الغرفة إلى الحمام.

فيما بعد، هدأت الماء الساخنة مفاصلها وعضلاتها المتصلبة، مع أن رأسها كان لا زال يؤلمها، وتحس بتصلب عنقها وكتفيها.. إرتدت قميص جدها الذي وصل طوله إلى ما بعد ركبتيها..

جلست على الطاولة في غرفة الجلوس، بعد أن قرّبها باتريك إلى الموقد.. وفتح أبوابه، لتظهر ألسنة النار تقفز من كل حطبة مشتعلة. أحد القناديل الزيتية كان يرسل نوره الأصفر الشاحب على غطاء الطاولة والأدوات الفضية.

وضع باتريك طبقاً أمامها، فتطلعت بذهول إلى المغلف الذهبي، تطل منه قطع السفط، وقال يجلس قبالتها:

- أرجو أن تحبي البيض المخفوق.

- يبدو لي لذيذاً.

أخذت القليل بشوكتها وأكلته، ثم صاحت:

- إنه رائع.. من علمك الطبخ.؟ أمك؟

- لا.. فأمي ماتت وأنا في الثامنة.. تعلمت الطبخ بالممارسة. حين ذهبت أول مرة إلى أوستراليا، عشت هناك لوحدي.. والعيش وحيداً علمني الطبخ بسرعة.

قالت بصوت منخفض:

- عشت لوحدي لسنتين تقريباً.. منذ طردني زوج أمي.. لكنني لا أطبخ مثلك.

- طردك؟ طردك من أين؟

- أوه.. لم يطردني بالفعل.. بل قال لي أتركي منزلي.. قال إنه سئم مني منذ زمن طويل.. أترى.. كنت دائماً متمردة ضد كل ما هو رسمي.. وزوج أمي، رسمي جداً جداً، إذا كنت تعرف ما أعني.

- أظن أنني أعرف.. أنه تقليدي، ويقوم بكل شيء، بالطريقة التقليدية، ويتوقع من أفراد أسرته أن يفعلوا الشيء عينه.

- هذا صحيح.. بالضبط. لذا، منذ ذلك الوقت إستأجرت شقة في منزل قديم.. ووجدت أن من الرائع العيش لوحدي، دون الإضطرار إلى إرضاء الآخرين طوال الوقت.

أكملا تناول الطعام بصمت، ثم قالت هامسة:

- باتريك.. أود الإعتذار، لم أكن أعني كل ما قلته لك، حول علاقتك بالنساء.

- إذا لم تقصدي شيئاً، فماذا كنت تقصدين؟

- كنت أعني أن الكثير من النساء أعجبن بك.. قبلي. أليس كذلك؟

- ربما.. أترغبين ببعض الحلوى.. هناك فاكهة طازجة وجبن.

- لماذا لا ترد.

- وماذا تريدين أن أقول؟ أقبل اعتذارك.

وأحنى رأسه ساخراً، فانفجرت:

- لكنني لست آسفة لنعتي إياك بالقذر، وإنني أكرهك.. لأنني أكرهك.

وقفت بسرعة، وتمنت لو لم تقف، فرأسها كان يؤلمها جداً.

- أوه.. لا فائدة من محاولة شرح مشاعري لك.. لا أعجبك، ولا تريد أن تصغي إلي.. سأذهب إلى النوم.

- عظيم.. أعني أنها فكرة جيدة لك. تحتاجين للراحة بعد إصابة رأسك.

إستدارت على عقبيها واتجهت إلى غرفتها تحاول جهدها أن تبدو متزنة.. صفقت الباب وراءها وتسلقت السرير.. عبر الجدار خلفها سمعت صوت الماء وعرفت أن باتريك يستحم.. فأغمضت عينيها، مصممة على النوم.

صوت جرافة متكرر، يتقدم ويتأخر، محركها يرعد وهو يغير السرعة، أيقظ فيرا بعد عدة ساعات.. جلست ببطء، تنظر حولها في أثاث جدها المألوف.. نور الشمس المندفع من النافذة، كان يشير إلى أن الصباح يكاد ينتهي.

تركت السرير، وتقدمت إلى النافذة، تنظر إلى الأرض المغطاة بالثلج اللامع تحت أشعة الشمس، وفتحت ذراعيها واسعتين تعبيراً

www.elromancia.com

عن فرحها بالحياة.. إنها تحب.. وتحب رجلاً رائعاً.. وهي تضحك أخذت ترقص في الغرفة، والتقطت قميص جدها لترتديه وهي تغني: أنا أحب.. أنا أحب.. أنا أحب رجلاً رائعاً..

وأكملت طريقها إلى الباب، لتصطدم بباتريك وهو يدخل الغرفة.

قال بجفاء:

ـ إذن، أخيراً إستيقظت.. وآن لك أن تستيقظي.. الساعة تكاد تصل الحادية عشرة.. الطريق إلى القرية مجروف والرجل بالجرافة يجرف الثلج الآن من حول سيارتي.

ـ عظيم.. أقال شيئاً عن سيارتي؟

ـ قال إنه ينظف الثلج من حولها، ويسأل إذا كنت هنا. أتمنى لو ترتدي ملابسك وتظهري نفسك للرجل كي لا يشك بي.

أرجعت شعرها إلى الوراء، فأحست بألم متخدر جعلها تمسك مؤخرة رأسها وتقول:

ـ أجل.. سأفعل.

سألها، ولو بتحفظ بارد:

ـ ألا زال رأسك يؤلمك؟

ـ ليس كثيرا.

ـ وعنقك؟

ـ سأعيش.

بدا مبتعداً متحفظاً، وقبل أن تسأله شيئاً إستدار عنها ودخل غرفة الجلوس.. حين دخلت لتأخذ كنزتها والجينز من حيث

تركتها لتجف في غرفة الجلوس. لم تجده هناك. وكانت باب غرفته مغلقاً.. إستحمت بسرعة، إرتدت ثيابها وعادت إلى غرفة النوم لترتدي حذائها.

إذن، أمها خمنت أنها جائت إلى هنا، واتصلت بصاحب الحانوت في القرية، الذي أرسل بدوره إبنه إدي بريدج ليجرف الثلج من حول الكوخ ويسأل عنها.. إبتسمت ڤيرا بقلق، وأقفلت سحاب ساق حذائها الطويل.. ولا يمكنها أن تفعل شيئاً دون أن يعرف الجميع ويسمع به.. الآن سيعرف أهل القرية أنها أقامت ليلتين في الكوخ مع غريب.. وبما أن اليوم هو يوم أحد، والمكالمات الطويلة رخيصة وسريعة فسيسارع إدي وأباه للإتصال بميغي مارستون ليبلغاها أن إبنتها تقيم في الكوخ مع رجل يتحدث الإنكليزية بلكنة غريبة.

حين خرجت، وشاهدها إدي، أوقف الجرافة، وقفز منها، يتقدم نحوها. كان يرتدي مريلة عمل وقميص مقلم تحته وفوقهما «انوراك» سميك.. قبعة صوفية حمراء تغطي شعره المائل إلى الرمادي.. وجهه الملوّح بتقلبات الطقس متجعد بإبتسامة.

ـ رائع أن أراك ڤيرا.. كيف حالك؟

ـ جيد أن أراك إدي.. هل سيارتي بخير؟

ـ بكل تأكيد، لا زال على ظهرها كومة ثلج، لكنك ستتمكني من قيادتها بسهولة.. متى وصلت هنا؟

ـ مساء السبت، في قلب العاصفة.. لذا اضطررت لهجر سيارتي.. لم أستطع قيادتها أكثر من هذا.

www.elromancia.com مـرومـانـسيـة

ـ قالت زوجتي أن ميغي كانت قلقة ساعة اتصلت لذا جئت في أسرع وقت ممكن. . بالطبع كنت أعرف أن صديق جدك هنا. . جاء يوم الجمعة، أشتري بعض الأغراض من المحل، وقال لنا أنه سيبقى هنا لبعضة أيام.

ـ هل سمعت أخباراً من جدي؟

ـ بكل تأكيد، وصلتنا بطاقة بريدية في الأسبوع الماضي يقول أنه سيكون هنا في نهاية نيسان.

ـ أتظنها ستثلج مرة أخرى اليوم؟

نظر إلى السماء:

ـ ربما. . إذا برد الطقس بعد الظهر. . سأنهي تنظيف الثلج عن سيارة السيد بريتان، ثم أذهب. . الآن وقد خلا الطريق، لماذا لا تأتي إلى المحل للإتصال بأمك. . ستقدر لك هذا. . أراك لاحقاً ڤيرا.

عادت إلى الكوخ، في المطبخ كان ابريق القهوة نصف مملوء بالقهوة، لكنه بحاجة إلى تسخين. . لذا وصلته بالتيار الكهربائي، وملأت طبقاً من الذرة وأخذت الحليب من البراد، وجلست تأكل.

إنفتح باب الغرفة الخلفية وخرج باتريك، يحمل الحقيبة الجلدية. . تقدم إلى الباب الأمامي، ثم استدار عائداً، وتوقف. . عبر الفراغ الفاصل بينهما نظرا إلى بعضهما. . بالنسبة لڤيزا، التي فاجأتها برودته، كان التوتر لا يحتمل. . فقفزت واقفة تتقدم إليه، تسأل:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أستعد للرحيل. .

أكمل طريقه عائداً إلى غرفة النوم، فلحقت به تقف عند الباب.

ـ إذن. . لم يعنِ لك شيئاً؟

ـ ما هو؟

ـ ما حدث بيننا.

إستدار يواجهها، وجهه شاحب وكأنه الرخام. . وارتجفت. . وقال ببرود:

ـ لقد عني لي شيئاً. . مثل أي رجل بصحة جيدة. . ولقد أرضيت رغباتي جيداً.

ـ لكن ليس بما يكفي. . ليس بما يكفي لترغب في البقاء لمدة أطول هنا.

يا إلهي: لماذا تترك نفسها منفتحة للمزيد من الإذلال والأذى؟ لماذا لا تتصرف بكبرياء أكثر؟

تمتمت:

ـ أوه. . إنسى الأمر.

إستدارت لتترك الغرفة لكن أصابعه أمسكت ذراعها:

ـ إسمعي. . مغادرتي الآن، ليس لها علاقة بك. . ولا بما حدث بيننا. . لقد كنت مقرراً أن أعود في وقت ما من هذا اليوم، لأن طائرة أوستراليا تغادر ليلاً ويجب أن أكون عليها. . لكنني قررت أن أذهب الآن، قبل أن تثلج ثانية وأعلق. . يجب أن أكون

مساء الغد هناك لاجتماع هام.. وأنا لا أغادر بسبب ما جرى بيننا.. مفهوم؟

- إذن سآتي معك، إلى أوستراليا. سألحق بك في سيارتي...

قاطعها بحدة:

- لا.. لا تستطيعي المجيء معي.

- بلى.. أستطيع.. أنا حرة لأفعل ما أريد.. لدي أسبوعان عطلة من عملي.. كانت لشهر العسل.. لكن الآن..

- لا يمكنك المجيء معي.. ألا تفهمي.. يجب أن تعودي لرؤية جايمس كي تقولي له أنك لا تريدي الزواج منه، ولتعيدي له خاتمه. يجب أن تعودي وتشرحي له.

- لكن أستطيع الكتابة له، وإرسال خاتمه بالبريد.

رد مقطباً، بلهجة سلطوية:

- لا ڤيرا.. لا أريدك أن تأتي معي.. لا أريدك في أوستراليا.. في الوقت الحاضر، ستسببي لي تعقيدات أنا في غنى عنها.

كان كلامه كصفعة على وجهها، وأعادها إلى رشدها. وأثار كرامتها.. قالت له أنها قادرة على الإعتناء بنفسها، ولن تبكي وتتعلق به. أجبرت شفتيها على الإبتسام، وهزت كتفيها، وابتعدت يداه عن كتفيها.

- حسن جداً. أفهم.. كان رائعاً أن أتعرف عليك، باتريك.. هل من رسالة لجدي؟

- سأكتب له.. يوماً.

إستدارت بسرعة تترك الغرفة ولتخبيء عنه ارتجاف شفتيها، واندفاع الدموع إلى عينيها.

إلتفت ذراعاه حولها، فانفرجت شفتاها بتنهيدة إبتهاج، واستدارت تلف ذراعيها حوله.. وكانت على وشك أن تحس بأنها تتسلل إلى غيمة بيضاء سابحة في السماء، حين انفتح باب الكوخ، ونادى إدي:

- أنا ذاهب الآن.. لو رغبت في اللحاق بي سيد بريان.

سحب باتريك ذراعيه من حولها، وللحظات أمسك بها، خده مضغوط على رأسها، ثم قال بهمس أجش:

- يجب أن أذهب الآن.

أمسك حقيبته وخرج من غرفة النوم.

مرتجفة من الرأس حتى القدم بالصدمة العاطفية، أسندت ڤيرا نفسها على الباب، وضغطت يدها على خدها تراقب باتريك يغادر الكوخ ويقفل الباب وراءه بقيت حيث هي إلى أن سمعت المركبتين تبتعدان. ولم يبق سوى صوت تساقط الثلج الذائب على المعدن.

لقد رحل.. أغلق الباب عليها، وذراعاها الآن فارغتان..

لقد رحل، وهي حرة لترحل، أو تبقى، مهما كانت راغبة.. لكنها حرية مخيفة، لن تستطيع معها نسيانه، أو نسيان لمساته، ولا أصابعه المغرية المداعبة، أو تمتمات صوته العميق، أو سحر ابتسامته الكسولة.. لن تستطيع تحمل البقاء هنا حيث تعلمت أخيراً معنى الحب.. والهوى.

www.elromancia.com

ـ ٤ ـ

المتحرر

أبراج بيضاء تلمع إزاء أشجار الدردار ذات اللون الزهري المائل إلى البني، مخازن ذات سقوف حمراء متنورة فوق صفحة بيضاء من أرض مكسوة بالثلوج، منازل بيضاء السقوف، خشبية الجدران، خضراء مصاريع النوافذ الخشبية، كانت مناظر رائعة الصورة للقرية التي تركتها ڤيرا ورائها، وهي تتجه جنوباً شرقاً نحو نيوكاسل.

في طريقها، توقفت عند نفس محطة الوقود، وتذكرها عامل المحطة وهو يعبيء الخزان وسألها إذا كانت تمتعت بالتزلج.. ومن نفس نمرة الهاتف إتصلت بأمها.

قيادة السيارة كانت أسهل بكثير مما كانت يوم الجمعة. فالرؤية رائعة، والطريق العام واضح المعالم محدد بين ضفتين مرتفعتين من الثلج. وأبقت ڤيرا الراديو مرتفع الصوت، تقود بأسرع ما تجرؤ عليه.. لكنها لم تكن تغني مع أغانيها المفضلة.. لم تغني لأنها كانت تعي التغيير الكبير في نفسها. لم تعد تحس أنها مضطربة غير

واثقة من نفسها. إنها تعرف أخيراً، أنها إمرأة لها طبيعة شغوفة جداً، تحتاج إلى رجل يمكنه إثارة رغبتها، ويرضيها كذلك. وبالغريزة أدركت أن ذلك الرجل هو باتريك برينان، لحظة سيطر عليها في قتالهما أول ليلة.

تقدمت الظلمة لتكتسح السماء، وأخذت الأنوار تتلألأ من المزارع المنتشرة والبلدات الصغيرة، لكنها لم تبطيء سيرها، وكانت الساعة على لوحة السيارة تشير إلى التاسعة حين أدارت سيارتها عن الطريق المقلوبة لنهر التاين، ودخلت إلى الطريق الخاص المتصاعد إلى منزل مارستون، لتوقفها في الفسحة الخارجية بالقرب من سيارة أخرى، عرفت أنها لجايمس.. كشرت لرؤيتها.. لا بد أنه في المنزل، لا شك أن ميغي وفيليب إستدعياه بعد أن اتصلت لتقول أنها قادمة.

دخلت المنزل من باب المطبخ، وجلست هناك تخلع حذائها متذكرة تعليقات ماثي، مدبرة المنزل، على حذائها المبلل وتأثيره على السجاد، صباح يوم الجمعة.. باالله.. يوم الجمعة، إنه زمن للحياة في عالم مختلف.. ڤيرا مختلفة هي التي عادت من مرتفعات شيڤيون.. إنها إمرأة ناضجة تعرف معنى الحب، وتأخذ وقتها لتخلع الحذاء والسترة قبل الدخول إلى الردهة، والتي تقف تنظر إلى صورتها في المرآة البيضاوية المؤطرة بالذهب، المعلقة بالجدار، وتملس شعرها.

ـ ڤيرا.. أخيراً.. ظننت أنني سمعت صوت سيارة.

كانت ميغي تكلمها من المدخل المقنطر لغرفة الجلوس.

فاستدارت تواجهها.. فتقدمت ميغي لتعانق إبنتها وتقبلها وتهمس:

ـ جايمس هنا.. وأنا مسرورة لعودتك.

ـ أعتقد أنك أنت استدعيته.

ـ أجل.. من الأفضل أن تجتمعا هنا.. أمه كانت مستاءة جداً لما حصل. لكنني واثقة أنكما قد تتفقا لو بقيتما معاً.. سأترككما.. فيليب مشغول الليلة يحضر للإجتماع الشهري لمجلس الإدارة غداً.

ـ لست مضطرة لتركنا لوحدنا.. أي شيء سنقوله لبعضنا يمكن أن يقال بوجودك.. فليس بيننا أسرار.

ـ أوه.. لا أعتقد هذا.. سأكون في الأعلى إذا احتجتني.

كان جايمس يتمدد على صوفا كبيرة بيضاء أمام النار، حين شاهدها تدخل وقف، ونظر إليها بعينين زرقاوين قلقتين. فقالت بكل عفوية:

ـ مرحبا جايمس.

ـ مرحبا.. لماذا هربت هكذا؟ كان يمكن أن نكون الآن على شواطيء المتوسط نتمتع بالشمس والبحر في شهر عسلنا.. أنت بالفعل أفسدت كل شيء.. ما الذي دهاك بحق الجحيم؟

ـ رأيت رؤيا ليلة الخميس عما سيكون عليه زواجنا.. وقررت أنني أحتاج إلى وقت أكبر قبل المغامرة.

عاد ليرمي نفسه على الصوفا:

ـ لماذا لم تقولي لي هذا إذن؟

ـ كان عليَ أن أكون لوحدي فترة، لأفكر، لم تكن مضطراً للبقاء هنا، كان بإمكانك السفر إلى فرنسا من دوني.

رد بصراحة وقحة:

ـ أردت الذهاب لكن أبواي وأبويك قالوا أن من الأفضل الإنتظار إلى أن تعودي.. وتمكنت من تغيير حجوزات الطائرة وحجوزات الفندق..

مال إلى الأمام يحدق بالنار وأكمل:

ـ لقد أعدت ترتيب كل شيء، بإمكاننا الزواج يوم الثلاثاء، شكراً للكاهن الذي دبر لنا الموعد. بعدها نستطيع أن نسافر.

نظرت فيرا إليه.. مشاعره بالكاد تأثرت لهربها.. لم يفتقدها بالفعل، وهو يفترض الآن، ولأنها عادت، إن كل شيء سيسير على ما يرام وكما هو مخطط. أخذت نفساً عميقاً تقول بهدوء:

ـ يبدو أنك لم تفهم جايمس.. لا أريد الزواج منك، أبداً. وما كنت لأعود اليوم.. لولا أن.. أحداً.. أعني أنني أدركت أن من الإنصاف أن أقول لك وجهاً لوجه أنني فسخت خطوبتي لك، وأعيد لك خاتمك.

جذبت الخاتم من إصبعها وأعطته له.. نظر إلى الخاتم في راحة يدها مذهولاً. ثم نظر إليها، عيناه محتارتان، وقال بصوت متهدج مخنوق:

ـ لست جادة.

ـ بلى، جادة جداً.. لا أريد الزواج منك، ولن أتزوج منك.

ـ لماذا؟ وماذا بي؟

ـ لا شيء.. أنت شاب لطيف، وأنا مولعة بك.. وكأنك أخي.. أوه.. لماذا لا تواجه الأمر جايمس.. نحن لا نحب بعضنا.. ولا نثير بعضنا..

ـ ومنذ متى كانت الإثارة سبباً للزواج؟

ـ منذ بدء الخليقة.. من يعجبه شخص ويثيره إلى درجة أن يذهب معه إلى الفراش.. يبقى معه.. وأنت تعرف أننا لم نختبر مثل هذا معاً أبداً.

ـ لكنني مولع بك ڤيرا.. وأنا مستعد للتجربة، وإنجاح الزواج..

قاطعته:

ـ لكن ألا ترى..؟ الولع بشخص تمرح معه لا يكفي.. يجب أن يكون هناك شيء آخر. يجب أن يكون هناك تجاذب لا تستطيع مقاومته، تحد تريد أن تواجهه وتتغلب عليه، كي ينجح الزواج.. وليس في صداقتنا أسرار أو غموض أو إثارة.

ـ إسمعي ڤيرا.. ما أن نتزوج حتى..

ـ لن نتزوج جايمس.. لا أريد الزواج منك.. والآن أرجوك، خذ الخاتم، يمكنك تقديمه لغيري، ربما تكون راغبة في الزواج منك.

أخذ الخاتم، نظر إليه ودسه في جيب بنطلونه. يقول بحزن:

ـ سأبدو كالغبي حين يعرف الجميع في الشركة وهذه البلدة أنك نبذتني.

ـ إذن لا تدع أحداً يعرف. قل للجميع أن القرار بفسخ

الخطوبة مشترك، وصلنا إليه بعد نقاش منطقي.. وهذا بالضبط ما سأقوله لكل من يسألني.. حتى أن بإمكاننا القول أننا كنا حكماء قبل وقوع البلاء.. لأننا رأينا أن زواجنا خاطيء.

تمتم:

ـ أنت محقة.. هل هناك شخص آخر؟

ـ أجل.. هناك شخص آخر.

ـ جيد.. وأنا مسرور لهذا.. أترين مرّ علي وقت كالجحيم أصارع فيه ضميري.. لم أكن أريد أن أتخلى عن صديقتي، ولا أردت خداعك.. أشكر الله على قلبك المتمرد ڤيرا.. كنا سنقع في ورطة كالجحيم لو تزوجنا.

ـ شكراً لتفهمك جايمس، وسأشعر بشكل أفضل لو عرفت أن لا ضغينة بيننا، وأننا لا زلنا صديقين.

ـ سنبقى صديقين.. سأذهب الآن.

ـ متى تتوقعك فتاتك؟

إحمرّ وجهه:

ـ حوالي العاشرة.

ـ إذن لو خرجت الآن ستصل في الوقت المحدد.. سأوصلك إلى الباب.

حين ذهب جايمس عادت إلى غرفة الجلوس وجلست في المقعد المنخفض مرة أخرى، مرفقيها على ركبتيها تحدق بألسنة اللهب.. ترى فيها صوراً.. صوراً لباتريك.. سيكون الآن في طريقه إلى بلاده.. أين يعيش يا ترى؟ في سيدني، ملبورن، أم في

www.elromancia.com

مدينة أخرى؟ أيعيش في شقة فخمة؟ أم في منزل كبير. .؟ وهل تعيش معه الإمرأة التي يحبها؟ لماذا لم تأت معه إلى الكوخ؟ هل هما متشاجرين؟ ألهذا كان يريد البقاء لوحده بضعة أيام؟

- أين جايمس؟

صوت أمها أجفلها، وقاطع أفكارها. . كانت أمها تقف عند مدخل الغرفة.

- لقد ذهب.

- سريعاً؟

- لديه موعد.

- إذن سامحك. هل ستتزوجا يوم الثلاثاء؟

من لطف الكاهن أنه دبّر لنا هذا الموعد. . إنه مستعد لأي شيء لأجل فيليب.

- هذا لأن شركة مارستون توفر له المال طوال السنة.

- ڤيرا لا يجب أن تقولي شيئاً كهذا.

- ولِمَ لا. . إنها الحقيقة؟

- ربما لكن، ليس من الحكمة قول الحقيقة دائماً.

- آسفة، لم أقصد إزعاجك. . أجل تسامحنا في كل شيء أنا وجايمس، لكننا لن نتزوج. . على الأقل لن نتزوج بعضنا.

ساد صمت ثقيل، وجلست ميغي جامدة. . أخيراً قالت بصوت خفيض:

- فيليب سيغضب كثيراً حين يسمع بهذا.

- وإن يكن؟ ليس من حقه أن يغضب. . حياتي من شأني

الخاص. أستطيع أن أفعل ما يحلو لي، أتزوج أو لا أتزوج. . ونفس الشيء ينطبق على جايمس ليس مضطراً للزواج مني لمجرد أو والداه يريدانه الزواج من فتاة غنية. إنه لا يحبني. . يحب فتاة أخرى. . فليتزوجها.

- وكيف عرفت بأمر الفتاة الأخرى؟

- بيو ميتشل قالت لي. . لقد رأتهما معاً، يمسكان بأيدي بعضهما في الحديقة العامة.

- إذن. . لهذا هربت يوم الجمعة.

- لا. . أعترف أن معرفتي بهذا ساهم بقراري. . لكن فيليب لا حق له أن يغضب مني لتغيير رأيي.

قالت الأم بحزن:

- لن يغضب منك. . بل مني أنا. لن أخبره اليوم. . فأنا متعبة جداً للتعامل معه الليلة.

نظرت ڤيرا إلى النار ثانية. . كانت تخمد شيئاً فشيئاً، ولم تعد فيها صور لباتريك. . أيجب أن تخبر أمها بأمره؟ لا. . ما حدث شأنها الخاص، وسرها الخاص. . شيء تشاركه معه فقط. . لا يمكنها تلطيخه بإخبار طرف ثالث.

تثاءبت:

- سأذهب إلى شقتي لأنام.

- ڤيرا. . زوجة إدي بريدج قالت لي انه كان هناك رجل في الكوخ وأنت فيه. . فهل ذهبت إلى هناك للقاءه؟

- لا. . لم أكن أعرف أنه هناك، وصل مساء الجمعة. . إنه صديق لجدي.

www.elromancia.com

تمتمت ميغي، تتصور رجلاً يقارب الجد سناً:

ـ أوه.. رجل مسنّ.

ردت ڤيرا تلوي شفتيها سخرية:

ـ أجل.. رجل مسنّ.

إنحنت تقبل أمها:

ـ تصبحين على خير أمي، سأزورك في الصباح.. إذا بدأ فيليب بانتقادك لأنني لن أتزوج جايمس، أحيليه عليّ وقولي أنني سأدفع الفواتير.

عشرون دقيقة سيراً قرب ضفة النهر، وكانت ڤيرا تفتح باب شقتها الصغيرة، في المنزل الأبيض الكبير، الذي كان يوماً منزل الكاهن، وملحق بالكنيسة.. في المطبخ، كانت بقايا فطار السبت وفي غرفة النوم، كان السرير لا زال دون ترتيب. لا شيء تغير.

المقابلة مع زوج أمها في اليوم التالي لم تكن سارة لكنها نجحت أخيراً في إقناعه بأن لا يلوم ميغي لأي شيء تفعله هي، وأن يتقبل قرارها أن لا تتزوج جايمس.

فيما بعد ذلك النهار جلست على طاولتها في الشقة تحاول صياغة طلب عمل لوظائف وجدت إعلاناتها في الصحيفة، وفي أجزاء أخرى من البلاد.. لكن، وحتى نهاية عطلتها.. لم تتلقَ رداً على أي منها. فعادت إلى عملها في شركة مارستون.. بعد بضعة أيام سافرت ميغي وفيليب إلى أوروبا في رحلة عمل ممزوجة بالراحة تستمر شهرين.. وتنهدت ڤيرا إرتياحاً.. ستتمكن الآن من القيام بما تريد دون الأخذ بالحسبان مدى تأثير هذا على علاقة ميغي بفيليب.

مدد الشتاء أيامه حتى أواسط نيسان.. بالرغم من تفجر مساكب الزهور، وأوراق الشجر، إلا أن النهر كان لا يزال مثلجاً.. والثلج على قمم الجبال.

كانت تجلس على الطاولة في أحد الأمسيات تطبع رسالة طلب توظيف أخرى، حين انفتح باب الشقة ودخل سيزار هيلست، وبدأ يحدثها وكأنه لم يغب عنها قرابة الخمسة أشهر:

ـ هاي.. ما الذي يجري؟ زرت المنزل لأرى ميغي ووجدته مقفلاً.. مع أنني كتبت لها لأخبرها أنني قادم اليوم.

ركضت ڤيرا شاهقة تحتضنه:

ـ أوه جدي.. كم رائع أن أراك! أمي وفيليب في أوروبا سيسافران إلى أميركا وكندا، للعمل والمرح معاً.

ـ وأين سأقيم الليلة؟

ـ هنا.. إذا لم تمانع من النوم على سرير متنقل.

ركل الصوفا بحذاءه الضخم:

ـ على هذه؟

ـ إنها مريحة حقاً، وسأجعلها كالسرير الحقيقي.

فاجأها بالقول:

ـ ظننتك تزوجت.

ـ لا.. غيرت رأيي.. سأخبرك كل شيء إذا أخرجتني للعشاء.

ضحك سيزار:

ـ أوكي.. هناك مطعم رائع على شاطيء النهر، فهل أتصل لأحجز.

www.elromancia.com

ـ فكرة رائعة.

بعد ساعة، كانا يجلسان على طاولة في المطعم المنزوي على ضفة نهر التاين، وموسيقى الفالس تصدح باستمرار، وهما ينتظران الطعام أخبرت ڤيرا سيزار كل ما حدث منذ غادر نيوكاسل بدءاً من طلب جايمس ليدها انتهاء برجوعها من شيڤيون. وأكملت:

ـ ما كان كل هذا ليحدث لو لم تكن أنت مسافراً.. وكنت أحاول إرضاء فيليب لأجل أمي.. حقاً.

ـ إذن، فليكن هذا درس لك.. كيف كانت الأحوال في هيلست؟

ـ كل شيء على ما يرام، ما عدا المولد، الذي أصلحه باتريك.

وصلت الساقية، مع الطبق الأساسي، فأخذت ڤيرا تراقب وجه جدها لتعرف ردة فعله على ذكر باتريك.. وارتفع حاجباه دهشة:

ـ باتريك برينان؟

ـ وهل هناك باتريك آخر تعرفه؟

ـ هذا صحيح. إذن كان في الكوخ ساعة وصلتي.. أكان معه أحد؟

ـ لا.. كان يكمن لي في الظلام، كان المولد معطلاً كما قلت لك، وظنني أقتحم المكان، وظننته كذلك بدوري وجربت فنون القتال التي علمتني إياها عليه.. لكن لم يكن لدي فرصة معه.

ضاقت عيناه بخبث:

ـ ليتني كنت هناك.. هل أعجبك؟

أخذ يراقب الإحمرار الذي تصاعد إلى وجهها.. هذه أول مرة يراها تحمرّ خجلاً.. وروت بخفة:

ـ ليس في البداية، لكن الإعجاب إزداد مع الوقت.. أتعرف عنوانه في أوستراليا؟ أود الإتصال به، وقد أسافر إلى هناك لأراه.

ـ لدي عنوانه في مكان ما.. إلتقينا في سويسرا منذ سنتين وكان معه إمرأة جميلة، مواطنة أوسترالية، تعمل في الصحافة في سيدني.. كان بينهما علاقة قوية.

شيء من الإحمرار تلاشى عن وجهها وشفتيها.

ـ أتعني أنهما كانا حبيبين؟

ـ هذا ما أعنيه.

ـ ما إسمها؟

ـ لا أذكر.

ـ أيمكن أن يكون بيا.. أو بياتريس؟

ـ أجل.. أظنه الإسم. هل أخبرك عنها؟

ـ ليس في الواقع.. أخبرني القليل عن نفسه، وكلما حاولت معرفة المزيد، أقفل على نفسه وكأنه القوقعة.. أوه.. كان بارداً متحفظاً.. لكن كان لدي إحساس، جدي، أنه من الداخل كان يغلي.. وكأنه بركان على وشك الإنفجار.

برقت عينا سيزار بخبث:

ـ آها.. يبدو لي أنك عرفت صنفه.. وحده المتمرد يعرف متمرداً آخر.. وباتريك كان له حصته من التمرد.. مثلك تماماً.

ـ أخبرني عنه جدي!

www.elromancia.com مـرومـانـسـيـة

ـ حسناً. . إنه الإبن الوحيد لسياسي إسباني، يدعى أرنستو بريتان، وكان مقدراً له أن ينخرط في السياسة مثل أبيه وأجداده من قبل، خاصة أنهم من مؤيدي الملكية التي عادت إلى حكم إسبانيا. . لكنه رفض وترك المنزل ليدرس الهندسة الإلكترونية.

ـ ولماذا جاء إلى أوستراليا؟

ـ روح المغامرة، كما قال لي. . كان يريد أن يرى ماذا في المقلب الآخر من العالم. . لكن ما لم يقله لي أنه قبل مغادرته لإسبانيا، تورط في فضيحة.

ـ إذا لم يقل لك، فكيف عرفت؟

ـ شغلت نفسي بمعرفة كل شيء عنه وأنا في مدريد. زرت صديقاً قديماً لي، كان يعمل في سفارة إسبانيا في لندن، وسألته عن عائلة بريتان، وعن ابن أرنستو بريتان بالضبط. . يبدو أن باتريك كان له علاقة مع زوجة موظف حكومي مسؤول عن عقود حكومية لشركات خاصة، وأقنع تلك المرأة أن تؤثر على زوجها لإعطاء الشركة التي يعمل فيها، عضواً مهماً. . واكتشف أمره، وتسببت له العلنية بفقدانه لعمله، وفي آخر مرة مع والده. . فترك إسبانيا.

قالت ڤيرا متمتمة:

ـ الإبن الضال. . عرفت هذا، عرفت أنه فيه شيئاً يشابهني. . وأحببته أكثر.

سألها سيزار ببرود:

ـ هل ذكرت «الحب»؟

ـ أجل. . أحببته. . وفي أسرع وقت أستطيعه سأسافر إلى سيدني لأراه.

ـ ڤيرا، أصغي إليّ، أنت لن تذهبي لرؤيته إذا لم يدعك بنفسه.

ـ لماذا؟

ـ لن يعجبه ظهورك على باب داره دون دعوة.

ـ وكيف تعرف؟

ـ أعتقد أنه لن يهتم لإمرأة تلاحقه. . فلا تلاحقيه ڤيرا. . ستتألمي لو فعلت. . إنه يحب بياتريس.

ـ إذن، لماذا لم تكن معه في الكوخ؟ ولماذا. . أعني. . كيف يمكنه.

وصمتت، لن تتمكن من القول لجدها ما حصل بينهما فهذا سيحرجهما معاً. . وتنهدت:

ـ أوه. . أعتقد أنني من الأفضل أن أنساه. . هل قلت لك أنني أبحث عن عمل آخر؟ أظن الوقت حان لأترك العمل في شركة زوج أمي، وأغادر نيو كاسل. إنني أجد المكان مملاً وضيقاً.

ـ ليست فكرة سيئة. . آن لك أن تفردي جناحيك.

في الصباح الباكر، غادر سيزار وكله شوق للوصول إلى كوخه الجبلي ليبدأ الكتابة. . ولم تتذكر ڤيرا سوى فيما بعد أنها لم تأخذ منه عنوان باتريك. إنزعجت أولاً. ثم قررت أن هذا أفضل لها. . فلو عرفت العنوان فتواجه دائماً إغراء الكتابة له أو حتى السفر إليه.

في غرفة النوم ذلك المساء، خلعت ثيابها وارتدت فستان نوم من قماش «البوبلين» أزرق وأحمر مخطط فوق أرضية بيضاء. . كان

www.elromance.com

يلتصق بجسدها يبرز حناياه ويكشف عن ساقيها.. لكنها لم تكن تهتم بمظهرها، فلا أحد معها ليراها.

كانت في المطبخ تصب فنجان قهوة حين قرع جرس الباب، دخلت عبر غرفة الجلوس إلى حيث الباب.. يدها على القفل، ترددت.. كان هناك عدة حوادث سرقة وعنف، إضافة إلى حادثتي اعتداء وإغتصاب مؤخراً في ضواحي نيو كاسل.. وكل الضحايا كان من النساء اللواتي يعشن لوحدهن.. وضعت سلسلة الأمان فوق الباب وفتحته تنظر عبر الشق.

للحظات محمومة، تساءلت ما إذا كانت تهلوس.. وأعادت النظر غير مصدقة بالرجل الواقف خارج الباب.

وسألت بحذر وذهول:

ـ باتريك..؟

إلتوى فمه بإبتسامة:

ـ مرحباً ڤيرا.. لقد وصلت لتوي.. هل لي بالدخول؟

www.elromancia.com
مـرومـانـسـيـة

ـ ٥ ـ
شعلة السعادة

لا..! لا يمكن أن يكون هذا باتريك.. لا يمكنه أن يأتي إلى هنا، فهو لا يعرف أين نسكن.. إنه ليس هنا حقاً.. إنها تفقد عقلها وتتخيل وجوده.. أغمضت عينيها لتبعد عنها صورته، وبدأت تقفل الباب.. لكنه لم ينقفل.. شيء ما يسد طريقه.. فتحت عينيها تنظر إلى الأسفل.. قدم في حذاء جلدي لماع رائع، بلون البصل الأحمر، كانت بين الباب والإطار. قماش بنطلون قطني مضلع، أخضر اللون يغطي جزءاً من الحذاء.

ـ ڤيرا.. يجب أن ترفعي السلسلة عن الباب قبل أن تتمكني من فتحة، وقبل أن أتمكن من الدخول.. هذا إذا أردتني أن أدخل.

ـ أوه.. بلى.. بلى.. أريدك أن تدخل.

بيد مرتجفة، إنتزعت السلسلة، وفتحت الباب وقلبها يخفق إثارة.

ـ أرجوك تفضل.. الأمر أنني لم أتوقع رؤيتك.. وتساءلت ما إذا كان تفكيري يتلاعب بي.

دخل.. ووقف في منتصف الغرفة.. يداه في جيبي سترته العريضة الكتفين.. وسألت:

- كيف عرفت أنني أعيش هنا؟

لحق بها إلى المطبخ الصغير وهو يرد:

- الأمر سهل.. أعرف إسم البلدة، فجئتها، ثم فتشت دليل الهاتف، وعرفت العنوان.

أرجعت خصلتي شعر إلى وراء أذنيها، ولحق بحركة يديها.. ثم سألته بأدب:

- هل تناولت العشاء؟

- أجل، في مطعم على الطريق.

- أتود شيئاً تشربه إذن؟ شاي، قهوة، كولا..

- كولا تكفيني.

فتحت البراد تأخذ منه علبتين من الكولا. لطالما كانت تعتبر نفسها سريعة في فتح علب المرطبات لكن يديها كانتا ترتجفان، تقدم إلى أن أصبح إلى جانبها وأخذ العلبتين منها يفتحهما.. ثم أمسك يديها بحيث أصبحت راحتاها على راحتيه، ونظر إلى أصابعها:

- أنت لا ترتدين الخاتم.. هل أعدته لجايمس؟

إهتزت ركبتاها، وتاقت لأن تستند إليه..

- أجل.. أرجعته له ليلة عدت من الجبل.. وكان كل شيء على ما يرام. فهو لا يريد أن يتزوجني وسيتزوج سواي..

- عظيم.. أنت إذن حرة الآن.

- أجل.. أنا مغامرة الآن.

- ألديك أكواب للمرطب؟

دلته على مكان الأكواب وأسرعت إلى غرفة الجلوس ترتب الوسائد.. ثم أطفأت أنوار السقف، بحيث لم يعد هناك نور سوى من المصباح على الطاولة الكبيرة قرب النافذة.

جلس باتريك على الصوفا، وجلست قبالته على مقعد منخفض. كانت الأسئلة تعتمر داخلها لكنها لن تطرحها عليه.. وتركته أن يقوم بالخطوة الأولى.. وسأل:

- إذن.. ماذا كنت تفعلين منذ عودتك، بما أنك لم تتزوجي جايمس؟

- إنني أبحث عن عمل، في مكان آخر.

- وهل تركت شركة مارستون؟

- ليس بعد، لكنني سأفعل يوماً.. وأنت.. ماذا كنت تفعل؟

- أعمل على تصميم لمولد كهربائي سيركب على سد في منطقة ما من الشرق الأوسط.. وإذا حصلت الشركة على العقد، فقد ترسلني إلى هناك لأشرف على المشروع.

كان ينظر إلى خصرها، ركبتيها وساقيها.. ثوب النوم كان قد ارتفع ليكشف قليلاً فوق الركبتين. فتحركت تحاول ترك أطراف الثوب تهبط إلى الأسفل.. لكنها سكبت بعض الكولا على ساقيها. مد يده يأخذ منها الكوب ويضعه على الطاولة قائلاً:

- تعالي واجلسي إلى جانبي.. أنت بعيدة جداً.

أطاعته ڤيرا، وغرقت على الصوفا إلى جانبه. ثم همست تسأله:

- لماذا جئت لرؤيتي؟

- أحسست بالفضول.. أردت معرفة ما إذا تزوجت جايمس أم لا.

- كان يمكن أن لا أكون هنا.. ربما أكون قد رحلت..

- لكنك لم ترحلي. أنت هنا، وأنا مشتاق لعناقك.. أترغبين في هذا ڤيرا؟

ردت بهمس:

- أجل.. أرجوك.

خرجت أنفاسها بتنهيدة حارة وذراعه تلتف من فوق كتفيها ليضمها إليه، وتحرك رأسها بإستجابة كاملة لتدفنه في كتفه.. حرارته، كانت مريحة، ترسل رسائل قوية متطلبة على طول أعصابها، حتى أحست أنها تكاد تذوب.

فجأة إبتعد عنها، فرفعت رأسها تنظر إلى عينيه تتراقصان ضحكاً.. وقال:

- عناق رائع.. يستحق المجيء كل هذه المسافة لأجله.

فكرت بك كثيراً خلال الأسابيع الماضية.

- وأنا كذلك.. لكنني لم أكن أعتقد.. ما أحاول قوله أنني.. ظننت أنك لن تتذكرني.. ظننتك نسيتني.

بدا وكأن ظلاً مرّ فوق وجهه، وانخفضت رموشه على عينيه، والتوى فمه سخرية.

- لست مندهشاً لظنك أنني رجل من النوع الذي يحصل على ما يريد وينسى.. لأنني فعلت هذا من قبل.. لكن تلك المرأة لم تكن

بريئة مثلك.. وما يقلقني أنني خالفت أحد قواعد تصرفي وأنا معك.. فقد سمحت لنفسي أن أغويك..

- لا.. لا.. لن أقبل منك هذا.. فأنت لم تغوني.. ما حدث حدث لأنني أردته أن يكون.. ولم أشعر بالخجل أو أي شيء آخر. كنت سعيدة بالعشاء معك.. وازدادت سعادتي الآن لأنك بقيت تتذكرني وعدت لرؤيتي. هل تبقى الليلة معي؟

تراقصت عيناه مجدداً، وتلاشى الظل عن وجهه ليشرق بإبتسامة.

- كنت آمل أن تدعيني للبقاء.. لكنني لن أرغب في النوم على هذه الصوفا غير المريحة.

- إنها خشنة، أليس كذلك؟

هناك سرير مزدوج ومريح.. لكن..

ضحك:

- أعدك.. لن أحاول شيئاً لا تريديه.. سأخرج لإحضار حقيبتي من السيارة.

ترك الشقة، وأسرعت ڤيرا إلى غرفة النوم ترتب الفراش، تغلي بالفرح. لقد عاد، هو يريدها.. لقد عاد دون أن تدعوه، ليبقى معها، يضمها، يداعبها، وربما لينام معها. لليلة كاملة سيكون هنا.. وما عدا هذا لا تريد أن تعرف شيئاً. الليلة هي المهمة. الليلة سيتركان الحب إلى أن يتلاشيا.. والغد سيعتني بنفسه.. فلا أمس ولا غد.. بل الليلة فقط.

ضاحكة لخيالها الرومانسي، نظرت إلى صورتها في المرآة..

www.elromancia.com

وتلاشت الضحكة إلى عبوس. . لماذا لا يعبّر مظهرها عما تشعر به؟ لماذا لا تبدو كإمرأة محبة مشغوفة، كما تحس؟ لماذا تبدو وكأنها الصبيّ، بالرغم من أن جسدها ملفوف بنعومة، وشعرها طويل، وكأنه الستارة السوداء.

وهي تحدق، ظهرت صورة خلفها. . وتقدم باتريك إليها. . وضع يداه على كتفيها، وأحنى رأسها لتحرق شفتاه نعومة بشرة عنقها. . حين رفع رأسه إلتقت عيونهما في المرآة. . وهمست لها:

ـ أتعرفين كم أنك جميلة، بيضاء نقية. . أتفهمين لماذا كان عليّ أن أعود لأراك؟ عدت لأتأكد إنك تماماً كما أذكرك.

أدارها بسرعة نحوه. . وتابع:

ـ يعجبني جسدك. . ويعجبني ما يفعله بجسدي.

كانت رائحة عطر صابونها اللاقندر، وفي النور الأصفر من المصباح تحولت عيناه إلى لون اللاقندر الليلكي الشاحب، تزدادان سعة وهو يقرب رأسه إلى أن التصقت شفتاه بخدها. فأغمضت عينيها، وأفلتت أحاسيسها من السيطرة لتندفع إلى هذيان أحاسيس مبهجة. . تلوت وتقلبت بين ذراعيه، تتلمس. . تفتش وتستكشف. إلى أن تأوه:

ـ أحب ملمسك، ناعم كالفجر، ودافع يضج بالحياة.

لم يعد قادر على إيجاد الكلمات بالإنكليزية، فتابع بالإسبانية. . وازدادت رغبته إلى ما وراء كل سيطرة. . وطافت معه في دوائر، إلى الأسفل الأسفل، ثم إلى الأعلى الأعلى، ثم إلى واقع جسدها الملتهب وخفقان قلبهما معاً.

لقد جاء إليها فقط ليستغل جسدها. . صحيح أنه أسعدها، لكن لمرضاة نفسه. . لم يكن يحبها، كما تريد أن تحب.

الندم لتركها له يمضي الليل هنا، إندفع في أوصالها كريح باردة حادة. . قالت له:

ـ أتمنى لو أنك لم تأتِ.

ـ ماذا قلتِ؟ آه. . ڤيرا. . ما بك؟ لماذا تبكين؟ ظننت قربك مني يسعدك كما يسعدني.

ـ مع ذلك لا زلت أتمنى لو لم تأتِ. . كنت نسيتك مع الوقت.

ـ لكنك قلت. . حسن جداً. . إذا كان هذا هو شعورك، فسأرحل حالاً.

كان يجلس على طرف السرير، فرمت نفسها عليه، تلف ذراعيها حوله.

ـ لا. . لا. . لم أقصد هذا. . أوه. . لماذا أقول أشياء خاطئة؟ ما عنيته أنني أتمنى لو لم تأتي لأنني سأتألم جداً حين تبتعد مرة أخرى. . ولا أظنني قادرة على تحمل الفراق.

إستدار إليها:

ـ أهذا كل شيء؟ أهو السبب الوحيد لبكائك؟

ـ ألا يكفي؟

رد بحزن:

ـ بلى يكفي. . لكن لا حاجة للبكاء، بإمكانك المجيء معي لو شئت.

ـ أتعني أنك ترغب أن أسافر معك إلى أوستراليا؟

www.elromancia.com

- وهذا ما سأحبه جداً.
- لأعيش معك هناك؟
- لتعيشي معي هناك.
صمتت لحظات، ثم انفجرت:
- لكنني لست إمرأتك.. وأرفض أن أكون عشيقتك.
- أترفضي أن تكوني زوجتي؟
همست بارتباك:
- أرجو عفوك.. هل قلت «زوجتك»؟
- أجل.. أترغبين في السفر معي لنتزوج هناك؟
- أيروق هذا لقلبك المتمرد.

بالطبع يروق. لا يمكن أن تفكر بشيء رومانسي أكثر من الهرب معه عبر المحيط.. ولا يمكنها أن ترفض.
- متى نذهب؟
- في الغد إذا استطعت.

كورت ساقيها تحتها تجلس على السرير بعيدة عنه. تحاول التفكير بصفاء.. ترفض قليلاً هذه السلطة التي فرضها عليها، إنه يعرف قدرته على هزمها لمغازلتها. وقالت تنوي أن تعرف ما حدث لبيا:
- عليّ أولاً أن أعرف سبب رغبتك في الزواج مني. أرجو أن لا يكون السبب إحساسك بأنك مرغم بسبب بقائنا ليلة في الكوخ، أو التزامك تجاه جدي.
- ليس هذا سبب رغبتي في الزواج منك.. أريد الزواج كي

يصبح لي الحق بأن تعيشي معي دائماً.. وأن أستطيع معاشرتك متى شئت.. وأن أستطيع تقديمك إلى أصدقائي وعائلتي كزوجة لي.. بدلاً من مجرد إمرأة تساكنني.
- أتعني أنك لن تسمح لي بالسفر معك إذا لم أقبل الزواج منك؟
بدا أن صبره سينفذ:
- بالضبط.
- وهل يجب أن أقرر الآن؟
- الآن.. ربما ما سأقوله قد يساعدك على القرار إذا وافقت على الزواج مني، سأبقى هنا طوال الليل ونسافر معاً في الصباح.. وإذا رفضتني، سأودعك وأخرج، ولن أعود.
- أوه.. لا.. لا.. أرجوك لا تذهب دوني.. أريد أن أكون معك إلى الأبد.

لفت ذراعيها حوله ثانية لمنعه من الوقوف عن السرير.. وقال بخشونة، يملس شعرها:
- الأبد أمد طويل.. أيعني هذا أنك تعدين بالزواج مني متى وصلنا سيدني؟
- أجل.. سأتزوجك.. لأنني أفضل أن تقدمني إلى أصدقائك وعائلتك كزوجة بدلاً من إمرأة مقيمة معك.
- وأين الفرق..؟ كل الزوجات نساء مقيمات.

كانت السماء مرتفعة في السماء في اليوم التالي حين أيقظها، صوته مليء بالسلطة.

www.elromancia.com

ـ إذا أردت فعلاً السفر معي اليوم، فعليك أن تستعدي هناك الكثير تفعليه قبل أن تغادري. . صنعت القهوة. . أيمكنك الإستعداد للسفر بحدود الثانية بعد الظهر؟

ـ أجل. . كل ما عليّ فعله، أن أقول لصاحب البيت أنني مسافرة. . الإيجار مدفوع حتى آخر شهر أيار. . سأكتب له رسالة، أضع فيها المفتاح وأتركها في صندوق بريده.

ـ وأمك وزوجها؟

ـ إنهما مسافران. . ولا يوجد هنا سوى جدي.

ماذا سيقول جدها حين يسمع أن باتريك جاء إليها بدلاً من أن يذهب إليه؟

ـ لكنني لا أستطيع إخباره إذ لا هاتف في الكوخ. سأكتب لهم جميعاً من سيدني، بعد زواجنا.

ـ هل أنت واثقة أنك لا تفضلي الإنتظار إلى حين عودتهما من السفر؟ ربما ترغبين في حضورهما حفل زفافك.

ـ لن يعودا قبل بداية حزيران، ولا أظنني سأنتظر إلى ذلك الوقت. . ليس بعد أن طلبتني. . أتستطيع أنت؟

ـ أريدك ڤيرا. . وبشدة. . وأريد أن تأتي معي اليوم.

سافرا بعد الظهر بقليل، متجهين جنوباً إلى لندن. من هناك إستقلا الطائرة إلى أوستراليا. . في سيدني أوصلهما التاكسي إلى أحد ضواحي المدينة، منطقة سكنية فخمة، أحد مساكنها ملك لباتريك.

وهما يتحضران لزواج مدني، كانت غالباً ما تتساءل عما إذا

كان قد اشترى هذا المنزل ليعيش فيه مع بيا. . وعرفت أن عليها أن تسأله ما الذي حدث لها ولماذا قرر الزواج منها وليس من فتاة أحلامه. . إفترضت أنها يجب أن تعرف كل شيء عنه قبل الإلتزام النهائي. . لكنها بقيت مترددة. . على أي حال، لو أرادها أن تعرف لأخبرها بنفسه. . أليس كذلك؟

لكنها سألته عما إذا كان هناك أحد من عائلته سيحضر عقد زواجهما في المحكمة. . فنفى هذا قائلاً أن ليس لديه سوى شقيقته كريستينا ووالده، وهما يعيشان في مقاطعة فالانسيه على شاطيء المتوسط. . وأنهما سيأتيان فيما بعد في الصيف لزيارتهما.

ـ أنا ووالدي لسنا متفقان. وأريد لزواجي لك أن يكون أمراً واقعاً قبل أن يأتي.

ـ ولماذا لا تتفقان؟

ـ هذا سؤال صعب الرد عليه. . ربما الرد يكمن في شخصيتينا. . وهناك فارق العمر بيننا، فهو لم يتزوج أمي إلى أن بلغ الأربعين، وكان في الرابعة والأربعين حين ولدت، وهذا يمثل فارقاً لجيلين، وليس لواحد فقط، وسيبلغ الخامسة والسبعين هذه السنة.

ـ أي بعمر جدك. كم كان عمر أمك لما تزوجها؟

ـ في نفس عمرك تقريباً. كان زواجاً مدبراً مثل أكثر الزيجات في إسبانيا، وهي إبنة أحد زملاءه السياسيين.

ـ وهذا فارق كبير آخر. . كم عمر أختك؟

ـ كريستين أصغر مني بسنتين. إنها متزوجة ولها طفلين، صبي

وفتاة. لكنني لم أراهما لأنني لم أعد إلى إسبانيا منذ غادرتها.. هذا الصيف سترافق والدي الذي أظهر رغبته في رؤيتي قبل أن يموت.

صمت قليلاً يهز رأسه بأسى:

ـ موت والدتي أثر عليه كثيراً. وبدا متقوقعاً على نفسه. وتركنا في عهدة عدة مربيات.. فنشأت أكره عدم إهتمامه بنا، ولا أحترم آراءه أو مبادئه السياسية، ولا سلطته.. تفهمين هذا؟

فكرت بنفسها وبفيليب زوج أمها، وهزت رأسها:

ـ أجل.. أفهمه تماماً.

مالت ڤيرا نحوه:

ـ قد لا يحبني والدك.

بقليل من الغيرة أجاب:

ـ وهل يهمك أحبك أم لا؟ ظننت أنني أهم رجل في حياتك.

همست:

ـ أوه.. أنت أهم رجل في حياتي ولا يهمني أن يحبني أحد طالما تحبني أنت.

هكذا تزوجا في يوم مشرق من أيام شهر أيار، وأمضيا أسبوع شهر عسل في كوخ ريفي قرب الجبل الأزرق حين عادا إلى المنزل كتبت ڤيرا إلى أمها رسالة تخبرها بزواجها، وكتبت إلى شركة مارستون تستقيل.. وأنهت «سأكتب لجدي قريباً.. لا تقلقي عليَّ فأنا هنا لأنني أريد أن أكون هنا.. ولأنني وقعت في حبه لحظة وقعت عيناي عليه»

نظرت إلى الكلمات وأخذت تهمس بأغنيتها المعتادة: أنا أحب.. أنا أحب.. أنا أحب رجلاً رائعاً..

لو أنها فقط تستطيع أن تكتب لأمها أن باتريك يحبها أيضاً كما تحبه.. أوه.. تعرف أنه منجذب إليها.. لكن إلى متى ستبقى هذه الجاذبية؟ وماذا سيحدث حين يضجر منها؟ ولنفترض أنه التقى فتاة أخرى، وانجذب إليها أيضاً؟

بعد أسبوع إتصلت بها ميغي لتقول أنها تلقت رسالتها، وانتهت المكالمة الطويلة بدعوة ميغي لإبنتها وصهرها لزيارتها في نيوكاسل.. وبدت سعيدة متقبلة لزواج ابنتها.. وفكرت ڤيرا: لا بد أنها سعيدة الآن لأنني لم أعد أقف في طريقها..

مر أول أسبوعين من شهر حزيران، مشرقة ذهبية لا شيء فيها يزعج سعادتها، الى أن عادت بعد ظهر يوم من لعبة تنس لتجد باتريك هناك. فسألته بحيرة:

ـ لماذا عدت باكراً؟

رد ممازحاً:

ـ أتمانعي في هذا؟

عانقها مقبلاً.. فقالت:

ـ لا.. بالطبع.. لكن ماذا حدث؟

ـ أتذكري أنني قلت لك أن الشركة تدرس مشروع إقامة محطة كهربائية على سد في الشرق الأوسط؟.. يبدو أن حكومة تونس، وافقت على العرض، وتريد مناقشة المشروع مع من وضع التصاميم.. هكذا سأطير مع صاحب الشركة إلى مدينة تونس في

www.elromancia.com

الغد لبدء المفاوضات ورؤية مكان المشروع في الجبل الأبيض. . هكذا عدت باكراً لأوضب حقيبتي ونخرج معاً للعشاء.

ـ وكم ستغيب؟

ـ أسبوع، وربما أطول.

ـ سأجيء معك. . لطالما حلمت بزيارة تونس.

ـ لا ستبقين هنا، فلن يكون لدي وقت لأبقى معك هناك.

ـ أرجوك باتريك دعني أذهب معك.

ـ ليس هذه المرة. . مستحيل. أرجوك أن تفهمي. . هذا عملي، مستقبلي، وهو مهم جداً لي.

ـ أهم مني؟.

ـ لا. . لكن يتساوى في الأهمية. . لم أكن أظن أنك ستتصرفي بطفولية هكذا. . ظننتك ستفهمي لماذا يجب أن أسافر.

شاهد الأبواب الفولاذية في أعماق عينيه، تقفل. . واستدار عنها ليتابع توضيب حقيبته دون كلمة أخرى. . وعرفت أنها خسرت الجدال، كما تخسر دائماً معه.

ـ قد لا أكون هنا حين تعود. . فقد أسافر.

ـ لرؤية أمك؟ فكرة جيدة. . لكن إذا سافرت تأكدي أن تتركي لي رسالة.

طوال الأمسية وهما يتناولان العشاء، في مطعم فخم. . وفيما بعد وهو يحتضنها في الفراش، أملت أن يلين. . كانت خائفة مما قد يجري وهو غائب عنها. . أو أن تخبو شعلة السعادة التي تعيشها منذ وصلت إلى هنا، بطريقة ما.

لكن الصباح جاء، ولم يغير رأيه، وترك المنزل ليسافر إلى تونس، من دونها.

www.elromancia.com
مـرومـانسيـة

- ٦ -

الخداع

مر أسبوع على رحيل باتريك وتلقت ڤيرا برقية منه، عبر الشركة، أنه سيتأخر أسبوعاً آخر. نتيجة لهذه البرقية، قررت السفر إلى إنكلترا لزيارة أمها. ولو عاد خلال هذه الزيارة، بإمكانه اللحاق بها، أو انتظار عودتها.

جلست في المطبخ تشرب الشاي، وتتساءل ماذا ستتناول لوجبة المساء، حين رن جرس الباب.. فتقدمت لتفتحه.

إمرأة غريبة كانت تقف هناك.. طويلة جميلة ترتدي بذلة حريرية سوداء تحتها بلوزة بيضاء بكشاكش على الياقة، بشعر أشقر جميل، وأخذت تحدق بڤيرا مذهولة وبلكنة غريبة:

- بيردوني! أظنني أخطأت.. ديكولبي! أبحث عن منزل السينيور باتريك بريننان. قيل لي أنه يسكن نوميرو كواترو ڤينتوس أي دوس.. أربعماية واثنان، لكن ربما فهمت الرقم بالغلط.

- لا لم تفهميه غلط. إنه يعيش هنا، لكنه ليس في المنزل الآن.

- أنت تنظفين المنزل له؟

- أوه.. لا... أعني أجل لكن.. لست عاملة تنظيف.. أنا ڤيرا بريننان.. زوجته.

عينا المرأة الزرقاوان كالبحر، إنفتحتا واسعتين، وارتفع حاجباها الرفيعان غير مصدقة:

- باتريك متزوج منك؟ لا أصدق، أنت تمزحين!

- لا أمزح.. تزوجنا الشهر الماضي، أنظري.

رفعت يدها اليسرى لتريها الخاتم البلاتيني في إصبعها.. فحدقت به المرأة لحظات ثم قالت ببطء:

- لكنك إنكليزية؟

- وهل هناك شيء خاطيء في هذا؟

- أبداً.. لكنني لم أتوقع أن يتزوج باتريك فتاة صغيرة مثلك.

رفعت المرأة يدها إلى جبينها، تغمض عينيها:

- بيردوني.. لا أشعر أنني على ما يرام.. كنت أمر بأوقات صعبة مؤخراً، وسماع خبر زواج باتريك منك الآن كان صدمة لي.. أنا صديقة قديمة له. ربما أخبرك عني إسمي بياتريس.. بياتريس موراندو. أتمانعي أن أدخل لأجلس بضع دقائق.. وربما جرعة ماء.

بسرعة وكرم قالت ڤيرا:

- طبعاً.. أرجوك أدخلي.. تفضلي إلى غرفة الجلوس واستريحي.. أواثقة أن الماء يكفيك؟ سأصنع لك الشاي أو القهوة.

همست المرأة:

www.elromancia.com

- ماء فقط.

خائفة من تصرفات المرأة، أسرعت ڤيرا إلى المطبخ، تملأ كوب ماء بارد، وأسرعت إلى غرفة الجلوس.

كانت بياتريس موراندو تبدو أفضل حالاً، لم تعد شاحبة، وتشعل سيكارة.. قالت بابتسامة ساحرة تأخذ الكوب من ڤيرا.

- شكراً لك.. أعتذر.. أنا لا أستسلم عادة للإحساس بفقدان الوعي.

جلست ڤيرا:

- قلتِ أن اسمك بياتريس؟ لم أسمع هذا الإسم من قبل.

لا بد أن هذه المرأة هي بيا، التي تراود أحلام باتريك.

- إنه إسم عادي في إسبانيا.. وأنا من مدريد. وكما قلت، نحن صديقان قريبان.

- أهذه أول زيارة لك هنا؟

- أوه.. لا... جئت أكثر من مرة لزيارته.. لسنتين الآن أعيش في ملبورن مع زوجي بول. إنه الممثل التجاري لحكومة إسبانيا. ولسؤ الحظ مات فجأة منذ أسبوعين، أثر انفجار دماغي حاد.. أمر صادم جداً.

فتشت لتجد منديلاً صغيراً جففت به عينيها.

فتمتمت ڤيرا:

- أنا آسفة.

- لا زلت أعاني الصدمة.. تفهمين هذا.

- أيعرف باتريك أن زوجك مات؟

- لست أدري.. لكنني أظن أنه لم يعرف، فلو عرف فأنا واثقة أنه كان.. سامحيني لقولي هذا.. لكنني وباتريك طالما كنا قريبان جداً، حتى أنني واثقة أنه لو عرف بموت بول.. لجاء ليراني ويقدم لي العزاء.. ولما كان تزوجك.. أمن الممكن أن لا يكون قد أخبرك شيء عني.. عن.. صداقته.. معي؟

- لا.. لم يفعل أبداً.

تنهدت بيا، تنظر إلى ڤيرا رافعة الحاجبين.

- ولم يخبرني عنك كذلك.. أرجو أن لا يكون خدعك.

أحست ڤيرا بالبرودة تسري في عروقها: وأنا أتمنى ذلك أيضاً.. وسألت:

- بأية طريقة يمكن أن يخدعني؟

- تبدين لي ودودة منفتحة، ومن السهل على رجل ماكر فهمك مثل باتريك أن يستغلك.. أعتقد أنك لم تعرفيه منذ وقت طويل.. متى التقيتما؟

- في.. شهر آذار.

- فهمت.. آخر مرة رأيته فيها قال شيئاً عن إضطراره للزواج وإلا حرمه والده من ميراثه.. هل قابلت أحد من عائلته؟

- لا.. لكنني آمل أن أقابل والده وشقيقته خلال الصيف إنهما قادمان ليقيمان معنا خلال شهر تموز. لقد كُتب السنيور بريتان لباتريك يقول أنه يريد أن يراه قريباً.. واضح أنه مريض و...

قاطعتها بياتريس:

- أجل.. هذا ما قاله باتريك.. وقال كذلك أن العجوز يريده

أن يتزوج قبل أن يكتب وصيته ليترك ثروة ضخمة له.. وهدده على ما يبدو، أن يترك كل ثروته وأملاكه للجمعيات الخيرية، إذا لم يتزوج باتريك وينجب أولاداً يحملون إسمه.. ألم يقل لك باتريك شيئاً عن هذا؟ ولا عن الضغط الذي يواجهه؟

ـ لا.. لم يقل لي شيئاً.

وتذكرت ببؤس أنها لم تطرح أية أسئلة، لأنها لم ترغب في أن يصدها بتكبر..

تمتمت بياتريس، تهز رأسها:

ـ بالطبع لن يقول لك.. إنه ذكي ماكر. خبيث جداً.. لقد خدعك.. جعلك تظنين أنه يحبك، لا شك عندي في هذا، كي توافقي على الزواج منه، ويخدع أباه في نفس الوقت.. وأظنه لم يقل لك لماذا ترك إسبانيا وجاء إلى هنا.

أعرف أنه تشاجر مع أبيه.

مالت بياتريس إلى الأمام:

ـ هذا صحيح.. لكن أتعرفين السبب؟

ـ لا.. ليس حقاً.

ـ السبب كان حول علاقة باتريك بي.. لسوء الحظ لم ألتقِ به إلا بعد زواجي.. ووقعت في حبه.. وكان هذا أمر سهل، صدقيني، كان شاباً وسيماً، بينما أرنستو، بالرغم من ثراءه، أكبر مني بعشرين سنة. وكنت أود لو أنني أطلق أرنستو لأتزوج باتريك، لكن أرنستو رفض الطلاق.. هكذا أصبحت وباتريك عشيقان. إكتشف والده أخيراً العلاقة وغضب.. لأنه ابنه

الوحيد، كان يريده أن يتزوج فتاة شابة لطيفة، إختارها له. وتخاصما، ترك بعدها باتريك إسبانيا.. ولفترة لم أعد أقابله، ثم عيّن زوجي ممثلاً تجارياً لبلاده في ملبورن.. هكذا إستطعنا معاودة علاقتنا.

تنهدت بياتريس، تنظر إلى المنديل الذي كانت تعصره بين يديها، وأكملت:

ـ لو أنه انتظر بضع أسابيع بعد. لكنا تزوجنا أخيراً.. كان سيتزوجني عوضاً عنك.. إنه يحبني ولطالما أحبني.. أوه.. لماذا لم ينتظر؟ لماذا لم ينتظر؟

جففت بياتريس عينيها بمنديلها وقد تغلب عليها أساها.. فقالت ڤيرا بصوت بارد:

ـ عليك سؤاله هو عن هذا.. حين يعود من تونس.. ولن يعود قبل أسبوع آخر. لماذا لا تأتي بعد أسبوع وتسأليه بنفسك لماذا لم ينتظر؟

ـ ألن تمانعي لو عدت لرؤيته؟

وقفت ڤيرا، إشارة للمرأة الأخرى بالرحيل:

ـ أبداً.. فأنا لن أكون هنا. سأذهب لزيارة أمي لفترة.. والآن ألا عذرتني.. أرجوك؟ لدي موعد للعب التنس هذا المساء، وأريد تغيير ثيابي.

صحيح أنها تكذب، لكن هذا لم يترك أي خيار أمام المرأة الأخرى. فوقفت تقول:

ـ أوه.. طبعاً.. سأغادر في الحال.. كنت لطيفة جداً.

www.elromancia.com

وأشعر بأفضل حال الآن. يجب أن أعود إلى ملبورن، لذا من الأفضل أن أبدأ رحلتي.. آديوس.. ڤيرا.. أنا سعيدة لمقابلتك وواثقة أنك بمعرفتك عني وعن باتريك ستفعلين ما تعتقدي أنه الأفضل للجميع. وداعاً.

ـ وداعاً.

راقبتها تبتعد، وتصعد إلى سيارة فخمة، ثم أغلقت الباب بهدوء، ووقفت بضعة لحظات تحاول السيطرة على غضبها المتصاعد داخلها. لقد حذرها جدها بأن باتريك يحب بياتريس..

أخيراً حدث ما توقعته.. رقية سحر السعادة التي عاشت فيها، إنفصمت.. باتريك خدعها، ودفعها إلى الزواج منه كي يكون زواجه أمر واقع في وجه أبيه، كي لا يحرمه من الميراث.. ولمعرفته أنها تحبه، وأن من السهل خداعها، تزوجها، لكن فقط، لأنه لا يستطيع الزواج من بياتريس.

أوه.. لا.. لن تتحمل هذا.. لم تتزوج جايمس لأنها اكتشفت أن له علاقة بفتاة أخرى لا يستطيع الزواج منها. فماذا ستفعل الآن؟ لقد اقترحت بياتريس عليها أن تفعل ما هو الأفضل للجميع.. لكن ما قد يكون هذا؟

لم تعد تستطيع البقاء في منزله، سوف تغادره.. أجل.. هذا ما ستفعله.. ستترك فوراً، تذهب إلى المطار، تحجز وتنتظر إقلاع الطائرة.. ولن يستغرق توضيب حقائبها وقتاً طويلاً..

كتبت رسالة مختصرة قبل أن تترك المنزل:

«قررت أن زواجنا كان غلطة.. لذا سأنهيه برجوعي إلى

إنكلترا وإعادة الخاتم إليك.. عرفت كل شيء عن بياتريس، عرفته منذ كنا في الكوخ، لكنني إعتقدت أن علاقتكما إنتهت.. ولن أستطيع البقاء معك كزوجة وأنا أعرف أنك لو انتظرت قليلاً لتزوجت منها.. هكذا أفضل.. مع حبي.. ڤيرا».

بعد منتصف الليل التالي، وصلت ڤيرا إلى منزل أمها، لتجدها ساهرة تنتظر، بعد إتصالها بها من لندن. أحتضنتا بعضهما، وتبادلتا القبل:

ـ رائحتك لذيذة، مثل أمي تماماً.

ضحكتا.. وقالت ميغي:

ـ أنا مسرورة لهذا الإعجاب. لماذا جئت من دون باتريك؟ هل سيأتي في نهاية الأسبوع؟

ـ لست أدري.. إنه في تونس الآن، في عمل.. أوه، أمي.. لقد فعلتها الآن حقاً.. أوقعت نفسي في ورطة كبيرة.

بصبر قالت ميغي:

ـ إذن.. إجلسي واخبريني كل شيء.

ـ لا أستطيع إخبارك كل شيء الآن.. لكنني أستطيع أن أقول أنني ما كان يجب أن أتزوجه.. إنه لا يحبني.. يحب إمرأة أخرى، واكتشفت هذا بالأمس فقط.. وعرفت أنه لو لم يتزوجني لكان تزوجها لأن زوجها توفي. أوه.. كان الأمر نفسه لو تزوجت جايمس، واستمر في مقابلة الفتاة الأخرى.. لا أستطيع التحمل..

تنهدت أمها:

- فهربت مجدداً. . أوه ڤيرا. . متى ستكبرين؟ أعتقد أنك تأملي بأن يلحق بك إلى هنا.

- أظن هنا. . لكنني لا أتوقعه بعد أن يعرف بموت زوج بياتريس، وأنها أصبحت حرة لتتزوجه. . أترين إنه يحبها، وكان يحبها دائماً.

- إذن، لماذا تزوجك؟

- لأنه يعرف أنني أحبه. . يا لي من حمقاء. . لماذا أقع في الأخطاء دائماً. . لماذا؟

- لأنها الطريقة الوحيدة لتتعلمي.

سألت ڤيرا بفضول:

- ماذا قال جدي عن زواجي بباتريك؟

- دهش، وقلق قليلاً، لكنه لم يوضح السبب. أظنه يحب باتريك، لكنه لا يوافق على زواجك منه بسرعة. وكذلك فيليب.

- أنا آسفة. . بدأت أدرك الآن أن فيليب يفعل ما يفعل للأفضل، وأعتقد أنني يجب أن أكون ممتنة له لمحاولته أن يكون الأب لي.

تلك الليلة، نامت في الغرفة التي كانت لها يوم كانت تعيش في هذا المنزل. . حين استيقظت في الصباح أحست بالتعب والكسل. . وهي تتناول الفطار، أحست برغبة في القيء. . لكنها لم تقل هذا لأمها، خرجت لتمضي النهار في شركة زوج أمها، تتحدث إلى رئيسها المباشر في القسم الذي كانت تشرف عليه. . لا شيء تغير، ولم يجدوا بعد من يحل مكانها. . وقال لها رئيسها:

- سنستقبل عودتك في أي وقت. . ما رأيك؟

مع نهاية الأسبوع، أصبحت ڤيرا قلقة بالفعل حول ما تحس به من غثيان، وباقتراح من أمها، حددت موعداً مع طبيب العائلة. . الذي أصغى لوضعها للتغيرات المبهمة التي أحستها في نفسها. . وطلب منها بعض الفحوصات.

- يبدو لي أنك حامل. . والفحوصات ستثبت هذا.

مندوخة، غادرت مكتب الطبيب، وعادت إلى المنزل عن طريق النهر. كان الطقس رائعاً، والسماء صافية زرقاء، والشمس تشع بقوة حتى أن داخل السيارة أصبح حاراً جداً. . حين وصلت الطرف الآخر من النهر، أدارت سيارتها إلى ضفته نحو رصيف قديم لرسو المراكب يطل على مياه نهر التايم الزرقاء المائلة إلى الرمادي. . صبيان كانا يجلسان هناك يتصيدان في الناحية الأخرى، كانت تبدو مدينة «غايتهد» الشهيرة بتصدير الفحم والحديد والفولاذ ومنتجاتهما.

طفل. ؟ طفل لها ولباتريك. . ماذا ستفعل به؟ ستستبقيه بالطبع. . لا يمكنها سوى هذا، فهو نتيجة مباشرة لحبها لباتريك. . وستقول له ما أن يأتي إلى هنا. . هذا إذا جاء إلى هنا.

اليوم هو آخر يوم من شهر حزيران. . لا بد أنه عاد الآن إلى سيدني، إذا سار كل شيء على ما يرام في تونس. لكنه لم يتصل بها هنا ليعرف إذا كانت موجودة أم لا. . ومن الممكن أن لا يتصل، ولا يصل.

لكن، لو جاء، فلن تقول له أنها حامل. . كرامتها تمنعها من

www.elromancia.com

هذا.. فسيظن أنها تقول له هذا ليحس بالمسؤولية وبإضطراره لاحترام الزواج والبقاء معها. لا.. لن تخبر أحداً.. ستحتضن هذا السرّ لنفسها أطول مدة ممكنة.

تخلى حزيران عن أيامه لتموز.. ولم تتلق ڤيرا أي إتصال من باتريك.. وافترضت أنه قرر تمضية وقته مع بياتريس، التي لا بد أنها جاءت الآن لتراه.

نهاية الأسبوع أقام زوج أمها حفل غداء في الهواء الطلق لأصدقاءه وعائلته. الأشخاص الذين جاءوا الحفلة، هم دائماً من يحضر حفلات فيليب، ويعرفون بعضهم البعض منذ سنوات طويلة.. شقيقتا فيليب مع زوجيهما، حيّتا ڤيرا ببرود، فهما لم تخفيا يوماً كراهيتهما لها. إحدى بناتهن جاءت كذلك لزيارة أمها مع زوجها، ولتظهر للجميع أنها حامل، وتجمع الأصدقاء حولها لتهنئتها.. أحست ڤيرا فجأة بالرغبة في الإعلان للجميع أنها كذلك حامل، وتستحق التهنئة.. لكنها لم تفعل، لا تريد إحراج أمها وفيليب.. إنها فعلاً كبرت.. ولن تحرجهما علناً بتصرفات متحدية.

كانت في المطبخ تساعد ماني على تحضير البوفيه في الحديقة حين سمعت صوت جدها الأجش العميق في غرفة الجلوس خلفها.. فأوقفت ما كانت تقوم به، وركضت إلى الغرفة الأخرى..

رمت نفسها بين ذراعيه الممدودتين ليحتضنها:

ـ جدي.. كم رائع أن أراك.. ظننا أنك لن تأتي.

ـ تأخرت قليلاً.. كان لدي زائر في الكوخ.. واضطررنا لقيادة السيارة بسرعة لنصل إلى هنا.. أليس كذلك؟

إلتفت إلى الرجل الواقف خلفه.

نظرت ڤيرا غير مصدقة إلى الرجل ذو الكتفين العريضين المستقيمين.. وقسماته الشبيهة بوجه النسر، تبدو وكأنها منحوتة من رخام بلون العاج، عيناه تبرقان بلمعان حي.. وقال سيزار بمرح:

ـ لا تحدقي إليه الآن وكأنك لم تريه من قبل.. إذهبي واحضري له شراباً، وقدميه للناس.. تذكري أنه غريب هنا.

دخلت ميغي:

ـ سيزار.. أخيراً.. بدأت أظنك لن تحضر.. لماذا تأخرت.

لاحظت وجود باتريك، فاتسعت عيناها:

ـ لا أظننا التقينا من قبل.

ضحك سيزار لاضطراب إبنته:

ـ هذا باتريك برينان.. أظنك سمعت عنه من ڤيرا.. باتريك.. هذه حماتك ميغي مارستون.

تمتم باتريك:

ـ موتشو جوستو سنيورة.

أخذ يد ميغي، ورفعها إلى شفتيه، يبدي سحره لها وكأنه لا يستطيع منع نفسه من التغزل بإمرأة جميلة حتى ولو كانت أكبر منه بإثنتي عشرة سنة.. ولاحظت ڤيرا هذا بسخرية.. إنه لم ينظر إليها مرة هكذا.

إستدارت ڤيرا على عقبيها وعادت إلى المطبخ. كان قلبها يضرب ضلوعها، وخداها محمران، ورأسها وكأنه أكبر حجماً مما هو.. باتريك جاء، ويجب أن ترقص وتغني.. ليعرف هو، والعالم أجمع، أنها مسرورة بحضوره.. لكن كل ما أحست به هو إضطراب متشوش. كراهية وحب.. رغبة وغيرة.. حتى الغيرة من أمها لأنه إبتسم لها وحدثها، ولم ينظر لها سوى ببرود، وهي زوجته.

قالت ماني بحدة:

ـ ڤيرا.. أخرجي من أحلام اليقظة وقولي للجميع أن يدخلوا ليتناولوا ما يحلو لهم من طعام.

تركت ڤيرا المطبخ إلى الحديقة لتقول للجميع أن يأتوا لتناول الطعام.. لكن، لا شيء سيجعلها تعود إلى غرفة الجلوس.. وإذا أراد باتريك الكلام معها فعليه أن يقوم بالخطوة الأولى.. ثم ينتظر إلى أن تكون مستعدة للرد عليه.. الكبرياء الفطرية فيها والعناد، يمنعانها من التصرف عكس هذا.

دخل سيزار إلى المطبخ تتبعه ميغي ثم باتريك. فقالت ڤيرا لأمها بصوت منخفض، مبقية ظهرها لباتريك:

ـ أمي.. أظنني سأنسحب الآن.. أعتقد أن على العمات أن يساعدنك وماني.. وعدت بعض الأصدقاء على الإنضمام إليهم لقضاء السهرة في حديقة البلدة.

ردت ميغي همساً:

ـ لا يمكنك الذهاب الآن.. باتريك جاء ليراك.

ـ إذن عليه أن يلحق بي.

وفتحت الباب وخرجت.

كانت السماء قد بدأت تتحول إلى أزرق شاحب مخططة بأصابع قرمزية وبرتقالية.. العتمة بدأت تهبط، وكأنها الوشاح الأحمر تلف المنازل وحوافي طريق النهر. الهواء الساخن مليء بأريج الزهور الصيفية.. من حدائق أخرى لمنازل أخرى، كان هناك مجموعات تحتفل بهذا اليوم الصيفي الرائع، والموسيقى والأصوات تتعالى.

وصلت المكان الذي تتقاطع فيه طريق النهر مع الطريق المتجهة إلى الحقول، واتجه الطريق النهري الضيق يساراً، نحو الرصيف القديم على النهر.. من خلفها سمعت وقع أقدام.. حارة مصممة على إسفلت الطريق. باستدارتها إلى المرجة، كانت الدنيا قد أظلمت.. ونزلت إلى الرصيف.. وتقدمت حتى نهايته ووقفت تتأمل المياه.

وصل باتريك خلفها وناداها:

ـ ڤيرا.

لكنها لم تلتفت، فأكمل:

ـ لماذا تركت المنزل هكذا دون أن تقولي لي شيئاً؟ جئت إلى هنا خصيصاً لأكون معك، وأنت تتجنبينني؟

لم تلتفت.. وردت ببرود:

ـ لم تبد لي أنك تريد قول شيء لي.. كنت مهتماً بأمي أكثر مني.. على أي حال.. لماذا جئت؟

وقف إلى جانبها، وأمسك مرفقها يديرها لتواجهه. في آخر

نور للنهار، رأت عينيه، تلمعان ببرود وكأنهما نصلتا خنجرين حادين. . وضع يده في جيب سترته وأخرج منها ورقة. . رد عليها بحدة يدفع بالورقة إليها:

ـ جئت أطلب تفسيراً لهذه.

نظرت إلى الورقة لتعرف أنها الرسالة التي تركتها له على طاولة مكتبه في منزلهما في سيدني.

ـ ٧ ـ
حتى آخر أيامنا

قالت، لا تزال تحافظ على هدؤها وبرودتها، لكن لا تنظر إليه بل إلى الورقة:

ـ كان يمكنك أن تكتب لي تطلب تفسيراً. . أظن أن ما كتبته فيها واضح.

تمتم شيئاً بالإسبانية، بدا أنه كلام فظ، وسحب أنفاسه بحدة ووحشية. . إشتدت يده على ذراعها، فأجفلت، تحس أن سيطرته على غضبه يكاد يفلت. . أجبرت نفسها على الهدوء، لكنها كانت ترتجف، تحس بكل أعصابها بحضوره الجسدي، وبقساوة هذا الحضور. . أحست فجأة، برغبة تتعاظم لأن تميل إليه، تتلمسه، تداعب وجهه، تعبث بشعره، تقبله وتدعوه لأن يتلمسها.

قال من بين أسنانه:

ـ أنت تجربة لصبر قديس. . ولم أكن يوماً قديساً. . أين كنت سأكتب لك.

وضع الورقة تحت أنفها:

www.elromancia.com
مرومانسيا

ـ في هذه، لم تقولي لي أين ذهبت.

ـ لكنني ظننتك ستعرف. قبل سفرك قلت لي أن أترك لك رسالة إذا قررت زيارة أمي..

قاطعها بخشونة:

ـ لتقولي لي أين ذهبت. وهذه لا تقول شيئاً. تقول فقط أنك قررت، ولسبب ما، أن تنهي زواجنا لأنك اكتشفت أمر بياتريس. فكيف عرفت بأمرها؟

ـ إنها.. جاءت لتراك وأنت مسافر.. وانزعجت جداً حين علمت أنني زوجتك.. وقالت لي عن علاقتك معها وأن زوجها مات، وأنها تتمنى لو انتظرت قليلاً قبل أن تتزوجني.

توقفت تلتقط أنفاسها، وجذبت ذراعها من يده:

ـ قررت أنني لن أتحمل هذا.. فأنا أكره الرجال اللذين يخونون زوجاتهم.. أمقت الخداع من أي نوع.. عرفت أنها عشيقتك ومنذ سنوات طويلة.. فتركتك.. إذا أردتما الزواج الآن بعد موت زوجها، فبإمكانك أن تطلب الطلاق مني.

صمت بضع لحظات، في العتمة، سمعت صوت تنفسه الثقيل، وكأنه يقاوم ليسيطر على نفسه.. أخيراً تكلم:

ـ وصدقتِها! لم يكن لك ثقة بي حتى أنك صدقت كل شيء تقوله إمرأة لم تريها في حياتك؟

ـ لم يكن من الصعب أن أصدقها.. أعرف كل شيء عنكما وأعرف أنك تحبها، لأنني سمعتك تقول هذا.

ـ متى؟ متى سمعتني أقول أنني أحب بياتريس؟

أمسك ذراعها مجدداً وهزها.

ـ يوم كنت نائماً أول ليلة في الكوخ. والآن أتركني.. أنت تؤلمني.

رد ساخراً:

ـ أؤلمك؟

لكنه تركها ودس يديه في جيبيه وتابع:

ـ ربما تستحقين الألم.. للألم الذي سببته لي بتصرفك غير المسؤول بتركك تلك الرسالة، وبالسفر دون قولك إلى أين.

ساد الصمت مجدداً، واستدارت ڤيرا تنظر إلى مياه النهر.. ثم تمتمت:

ـ فعلت هذا للأفضل.. على الأقل آمنت أن هذا هو الأفضل.. أعرف أنك تحب بياتريس.. وأنك كنت ستتزوجها بدلاً مني لو عرفت أن زوجها مات.. أعرف أنك تحبها لأنك تمتمت باسمها وأنت نائم في الكوخ..

ـ ماذا؟ ماذا سمعتني أقول وأنا نائم؟ أخبريني بالضبط ماذا فعلت.

ـ لم أفهم كل ما قلته، لأنك تكلمت بالإسبانية لكنك تمتمت باسمها «بيا» ثم بدأت تداعبني، فأيقظتك. ألا تذكر؟

ـ كل ما أذكره أنني استيقظت لأجدك إلى جانبي.. يا إلهي، كان عقلي اللاواعي يعمل كثيراً تلك الليلة، أليس كذلك؟ لكنني لم أكن أحلم ببياتريس.. بل بإمرأة أخرى.

صاحت به:

www.elromancia.com

ـ أوه.. لا تكذب عليّ.. أرجوك لا تكذب عليّ.. لا أتحمل أن تكذب عليّ.

ـ لست أكذب.

ـ بلى.. تكذب. أعرف أنك كنت تكلمها وتدعوها بأسماء محببة.. وأعرف أنك عدت إلى علاقتك معها بعد أن جاءت إلى ملبورن مع زوجها، لأنها قالت بنفسها أنها كانت تأتي إلى سيدني لرؤيتك.. وكانت معك يوم التقيت بجدي أول مرة.. هو قال لي هذا. قال أنه كان معك إمرأة جميلة إسمها بيا، وأنها إسبانية، وأن هناك شيء قوي جداً يجري بينكما.. و..

ـ تلك المرأة لم تكن بياتريس موراندو.. يا إلهي، كم من الصعب إيقافك بعد أن تصممي رأيك على شيء.. لقد فهمت كل شيء غلط.. وإذا كان هناك من يكذب فهي بياتريس.. لطالما كانت كاذبة.

صاحت:

ـ أتنكر إذن أنك كنت تعرفها حين كنت في مدريد، وأنك أقمت علاقة معها؟

ـ لا.. لا أنكر.. لا أستطيع أن أنكر. هذا الجزء من القصة حقيقي.. لكن علاقتي معها لم تستمر طويلاً، ولم تستمر بعد أن جاءت إلى أوستراليا.. أوه.. حاولت العودة عدة مرات. كانت تتصل دائماً، حتى أنها جاءت إلى الشقة قبل أن أشتري منزلي.. ألا تصدقي؟

ـ أجد صعوبة أن أصدق أن هناك إمرأتين، إحداهما تدعى

بياتريس، والأخرى بيا.. الصدفة هذه أكبر من أن تكون حقيقة.. ولا أريد سماع المزيد من أكاذيبك.

إستدارت تعود إلى المرجة، تسمعه يناديها.. فوق المرجة الخضراء، ركضت نحو طريق النهر، ثم باتجاه منزل مارستون. كان الجميع في المدينة يتناولون القهوة ويتحدثون ويرقصون.. دون أن يلاحظها أحد، تسللت إلى غرفتها وأقفلت الباب وراءها وأدارت المفتاح.

لفترة طويلة جلست لوحدها في الظلام تحاول تهدئة نفسها، وتستعيد في ذهنها مرات ومرات ما قاله باتريك لها، تحاول إقناع نفسها أن بيا ليست بياتريس، والعكس بالعكس.

بعد فترة، سمعت الناس تودع بعضها والسيارات تتحرك.. وأضحى كل شيء هادئاً.. أضاءت المصباح قرب السرير تنظر إلى ساعتها.. إنها تقارب الحادية عشرة.. ربما رحل باتريك الآن.. ربما كان غاضباً حين اتهمته بالكذب، ورحل دون أن ينوي العودة مرة أخرى.

خلعت ثيابها وارتدت ثياب النوم، ثم وضعت روباً على كتفيها وخرجت من غرفتها.. لسماعها صوت ميغي في غرفة الجلوس، تسللت إلى الباب تتطلع إلى الداخل.. كانت ميغي تجلس على الصوفا، شعرها الأحمر الذهبي يلمع في النور.. وقبالتها يجلس باتريك يوليها كل اهتمامه.

دخلت الغرفة تقول بخفة:

ـ أوه.. أنتما هنا إذن.

www.elromancia.com مـرومـانـسـيـة

فاستدارا معاً ينظران إليها، وقالت ميغي وهي تقف:

- لم أكن أعرف أنك عدت.. كنا ننتظرك.

هزت رأسها:

- عدت منذ بعض الوقت.. هل أقاطعكما في شيء..؟

نقلت نظرها من باتريك إلى أمها ثم إليه، تحس بالغيرة.

- لا.. باتريك وأنا كنا نتحدث قليلاً، نتعرف إلى بعضنا ونحن ننتظرك.

إلتفتت إلى باتريك:

- لن أضطر الآن لأن أريك غرفة نومك.. فستفعل ڤيرا هذا.. تصبح على خير باتريك.

رد بهدوء:

- تصبحين على خير ميغي.. وشكراً لك.

إبتسمت له بحرارة:

- كان هذا من دواعي سعادتي.

والتفتت إلى ڤيرا:

- تصبحين على خير حبيبتي.. أراك في الصباح.

وتركت ميغي الغرفة، لتدخلها ڤيرا ببطء، وتجلس على ذراع الصوفا.. وبقي باتريك واقفاً.

- هل ذهبت إلى أصدقاءك في الحديقة العامة؟

- لا.. بل عدت رأساً إلى هنا.

- وأين كنت طوال الوقت؟

- في غرفتي.

- لماذا؟

- أردت التفكير بما قلته لي.. وظننت أنك ستأتي لتسأل عني.. لكن.. يبدو أنك فضلت الحديث مع أمي.. أعرف أنها جميلة جداً.. وتعرف كيف تتحدث إلى الرجال..

حذرها بنعومة:

- توقفي عن هذا ڤيرا.. توقفي عن التخمين.. توقفي عن تخيل أشياء ليست موجودة.. أنت عادة مخطئة في تصوراتك، كما أنت مخطئة تماماً في تصديق كل شيء قالته لك بياتريس موراندو، ومخطئة في إتهامي بالكذب.

- أوه.. أريد أن أصدقك.. أريد.. ليس لديك فكرة كم أريد أن أصدقك لا أن أصدق بياتريس.. لكن الأمر صعب.

- لماذا لا تطلبي من جدك وصف بيا لك؟

دعك عيناه بأصابعه واستدار عنها، وكأنه لا يريد أن يرى وجهها.. وأكمل:

- لو سألت سيزار ما شكل بيا، فستجدي أنها لا تشبه بياتريس أبداً.

- كيف كان شكلها.. باتريك.. أرجوك قل لي.

إستدار نحوها ووجهه شاحب جداً:

- كانت سوداء الشعر، بنية العينين، تشبه لون بشرتك، لكنها أصغر منك، إسمها باميلا، لكنني كنت أناديها بيا.. كنا سنتزوج في مطلع السنة الماضية.. لكنها قتلت.

جمدت ڤيرا.. تحس البرودة في عروقها.. ذكرى اليومين

www.elromancia.com مـرومـنسيـة

اللذين أمضتهما معه في الكوخ مرت أمامها، وكأنها فيلم صامت.. ذكرى أسئلة طرحتها ولم يرد عليها. ذكرى كيف كان يبعدها عنه طوال الوقت.. وفهمت الآن سبب تراجعه وانكماشه وتحفظه.. وعرفت لماذا لم تكن المرأة التي يحبها معه.

- كان يجب أن تقول لي، لو قلت لي ما صدقت بياتريس.

صدمتها تعابير وجهه.. بدا وكأنه وصل الجحيم ثم عاد.

- لم أستطع.. والكلام عنها الآن، كأنني أتمزق، وكأن داخلي ينقلب إلى الخارج.. وكأنني أغرق وأضيع..

وضعت أصابعها على ذراعه، محاولة إيصال مشاعرها له:

- لكن يجب أن تفعل، لتريح نفسك.. قل لي كيف قتلت؟

- في حادث سيارة.. سائق مجنون صدمها، خرجت سيارته من منتصف الشارع العام إلى الجهة الأخرى وصدمت سيارتها.. كانت في طريقها للقائي.. وتحطمت سيارتها، وهي في داخلها.. ولم يبق شيء.

إنسلخت صيحة ألم من ڤيرا:

- أوه.. لا..

ولفت ذراعيها حوله، محاولة إراحة القليل من الألم الذي يحس به لإعادة سرد القصة.

- أنا آسفة.. آسفة جداً.

قال بخشونة:

- لا تقولي هذا.. لا أريد شفقتك.. لهذا لم أقل لك.. وما كنت سأقول لك لولا أنك هربت مني، ولولا أنك نعتني

بالكذاب.. والآن بعد أن عرفت بأمر بيا هل صدقت أنها ليست بياتريس، وأنها لم تعد عشيقتي؟ لم أكن أرغب في أن يكون لي معها شأن، وقلت لها هذا أكثر من مرة، يكفي ما سببته لي من مشاكل.

- أي نوع من المشاكل.. أرجوك أخبرني.

تنهد:

- قابلتها أول مرة بعد تخرجي كمهندس الكتروني، كنت أعمل عند زوج عمتي، في مصنع الالكترونيات الذي يملكه. كنت صغيراً، لا أتأثر بشيء. وكانت بياتريس جميلة، خبيرة، أكبر مني، ومتزوجة من رجل يكبرها بعشرين سنة، كان يضجرها إلى حد البكاء.. هي من تحرشت بي، وأحسست بالغرور لهذا.. لفترة بقينا نلتقي في شقة تملكها في مدريد.. كانت علاقة جسدية بحتة بالنسبة لي.. وسرعان ما انتهت.. وتوقفت عن مقابلتها.

- وماذا فعلت؟

- تعلمت بالطريقة القاسية أن المرء لا يقدر أن يتخلى عن إمرأة مثل بياتريس بسهولة.. وأنها تفضل أن تكون هي المسيطرة لذا تختار شباناً أصغر منها سناً.. وإذا تجرأ أحدهم على تركها، تجعله يدفع الثمن.. هكذا فعلت ما بوسعها لتتأكد من أن أكون كبش الفداء في فضيحة تورطت فيها مع زوجها وشركة زوج عمتي..
الحكومة الإسبانية منحت الشركة مناقصة مشروع لإقامة محطة كهربائية في الشمال.. وقدّم المنافسون شكوى بأن ضغطاً مورس على بول موراندو، الذي يعمل في الدائرة الحكومية المسؤولة عن المشروع لإعطاء العقد إلى الشركة التي كنت أعمل فيها.. وأشاروا

www.elromancia.com مـرومـانـسـيـة

إلى أن بياتريس، أثر عليها موظف في الشركة لتضغط على زوجها.. حين قابلت بياتريس الصحافة.. وافقت على إعطاء إسم الموظف بعد التظاهر بالتردد الشديد.

ـ وسمتك أنت.

ـ أجل.. سمتني أنا، وخرج زوج عمتي، الذي رشاها في الواقع لتؤثر على زوجها من الورطة، وألبستني الكيس.

ـ أوه.. يا لشرهما معاً.. يا لهما من فاسدان.

ـ لكن هذا ليس كل شيء، فقد غضب والدي.. وقال أنه لن يسامحني لتلطيخ إسم عائلة بريتان إلا إذا تزوجت واستقريت.. حتى أنه اختار لي العروس.. حين رفضت، طلب مني الخروج من بيته وأن لا أعود إلا بعد أن أتزوج.. فتركت إسبانيا إلى أوستراليا.

ـ لكن بياتريس قالت أنه يهدد بحرمانك من الميراث لو لم تتزوج.

ـ وماذا لديه ليورثني.؟ لا يملك سوى راتب تقاعده، ولا يملك سوى مزرعة قديمة فيها بضعة فدادين من بساتين التفاح على الأرجح أن يتركها لشقيقتي لأن زوجها مزارع.

تقدم منها يضع يديه على كتفيها:

ـ والآن بعد أن قلت لك كل شيء.. ألا زلت ترغبين في إنهاء زواجنا؟

تسللت يداه من كتفيها إلى ظهرها يشدها إليه.. ثم انحنى يقبل عنقها، ويداه تضغطان بنعومة على ظهرها.

حين التصقت به، وأحست بشفتيه على بشرتها، شهقت سعادة.. وهمس لها:

ـ إشتقت إليك ڤيرا وأنا مسافر.. أكثر مما تصورت.. وأنا الآن هنا.. وأرغب بك طوال بعد الظهر..

ـ لا.. إنتظر.. يجب أن أعرف أولاً ما إذا..

تمتم يقاطعها:

ـ أين غرفة النوم.. التي سننام فيها معاً الليلة؟ أين هي؟

ـ يجب أن نتحدث بعد.. هناك شيء يجب أن تعرفه.

ـ إذن، أرني أين سننام.

ـ حسن جداً.

يداً بيد، صعدا السلم. وقادته من أمام غرفتها إلى غرفة ملاصقة.. غرفة ضيوف فيها سريرين.

ـ ها أنت.. تصبح على خير باتريك.

إلتفتت بسرعة وخرجت تهرع إلى غرفتها، تبتسم بخبث، ثم أقفلت باب غرفتها عليها، لكن، قبل أن تدير المفتاح كان يدفعه بعنف.. فابتعدت تلصق نفسها بالجدار. واندفع الباب إلى الداخل.. فدخل وركل الباب خلفه.. وعلقا معاً في الظلام، ظلام لا تنيره سوى النجوم المطلة من النافذة وهمس، يضحك بنعومة:

ـ أظنني ضبطتك.

همست:

ـ أيها الوحش المغرور.

وبدأت تنزلق على الحائط لتبتعد عنه:

ـ أتظن أنك قادر على المجيء إلى هنا، وتقدم بضع تفسيرات ثم

www.elromance.com

تنال ما تريد مني. . لن تتمكن. . ليس قبل أن أكون مستعدة، وأنا لست مستعدة الآن.

تقدم خلفها:

ـ لكنك مستعدة. . مستعدة. . لقد عانقتك لتوي. . وأحسست أنك راغبة.

في الظلام وجدت أصابعه كتفيها، وأخذت أطرافها تداعبها إلى أن شهقت. . وتقدم أكثر إلى أن أصبحت أنفاسه تلفح وجهها. . أحست أن ذراعاه تمتدان لتحضناها، فأفلتت منه، ولحق بها. . فركلته، لكنها تعثرت بشيء ووقعت إلى الأرض، أنفاسها مقطوعة. . على الفور كان إلى جانبها يلامسها بلطف:

ـ حبيبتي. . هل أنت بخير؟ ماذا حصل؟ لماذا وقعت؟ تعرفين جيداً أنني أفضل معانقتك على القتال معك. . وتعرفين أكثر أنك أنت تفضلين العناق.

تأوهت:

ـ أوه. . أجل. . أفضل عناقك. . يا أعز الناس. . أنت فقط. . لقد إشتقت إليك كثيراً.

وكان اللقاء سريعاً، جيلاً في نتائجه، مرضياً لكليهما في شوقهما لبعضهما. . ثم استلقيا صامتين متعانقين إلى أن ناما أخيراً.

إستيقظت فيرا متأخرة. . كانت لوحدها. . لا شيء في الغرفة يدل على أن باتريك نام فيها. .

إحساس رعب خفي طاف بها، فتحركت بسرعة. . الحركة

هذه جاءتها بغثيان آخر. . والذي أصبح الآن مألوفاً لديها كل صباح، ضغطت يدها على بطنها الذي لا زال حتى الآن منبسطاً. وابتلعت ريقها بقوة. . منتظرة زوال هذا الإحساس.

نزلت من السرير بسرعة. . بكل تأكيد لم تكن تتخيل أن باتريك كان معها. . أسرعت إلى السلم عبر الممر، ونزلت راكضة تدخل رأساً إلى المطبخ، لكنه كان فارغاً. . فأين ذهب الجميع؟

فتحت البراد لتصب كوب عصير برتقال طازج، وكانت تشربه حين دخل جدها يحمل حقيبة سفر صغيرة. . وقال لها:

ـ آه. . أخيراً إستيقظت. . كيف حالك هذا الصباح؟

ـ عظيم. . وكيف حالك؟

ـ عظيم. .

ـ أين الجميع؟

ـ فيليب ذهب إلى المصنع، وميغي لتتسوق، وماني اليوم إجازتها.

إنتظرت ليذكر شيئاً عن باتريك، لكنه أخذ ينظر إليها بصمت، وعرفت أنه يحاول المزاح معها فأجبرت نفسها على السؤال:

ـ وباتريك؟

تظاهر بالدهشة:

ـ باتريك؟ ألا تعرفي أين هو؟ ألم يقل لك؟

ـ أوه جدي، توقف عن المزاح.

وجلست على الكرسي متنهدة.

- أوكي.. سأقول لك.. خرج يركض، لقد ودعته..
وسأودعك أيضاً يا كسولة.

وضع ذراعه على كتفيها يحتضنها.. وأكمل:

- يجب أن أنطلق في طريقي إلى لندن.. لدي موعد عشاء عمل مع ناشر كتبي اليوم. أظنك ستعودي إلى سيدني، وباتريك معك.

عبث بشعرها، فتمتمت:

- أعتقد هذا.

أوصلت سيزار إلى الباب وودعته، ثم عادت إلى المطبخ وبدأت تحضر بعض الفطار.. لكن المشكلة أن التفكير بالبيض واللحم كان يجعلها تصاب بالغثيان.. على الأقل، لنصنع قليلاً من القهوة.

دخل باتريك عليها المطبخ وهي تصب القهوة، وسألها:

- ألا قهوة لي؟

- بلى، سأصبها لك.

تجنبت عيناه وهي تكمل:

- لقد سافر جدي.. هل.. أنت.. أعني متى ستعود إلى سيدني؟

لم يقل شيئاً. بل تابع شرب قهوته، فركزت نظرها عليه في اللحظة التي رفع عيناه لينظر إليها، وقال:

- لم تشربي قهوتك، ولا أنهيت طعامك.

- لا.. لا أحس رغبة في الأكل.. وأنت لم ترد على سؤالي.. متى ستعود إلى سيدني؟

- وأنت كذلك لم تردي على سؤالي الذي سألته ليلة أمس.

- أي سؤال؟

- ألا زلت راغبة في إنهاء زواجنا بعد أن عرفت أن لا حبيبة لي غيرك؟

مد يده يغطي يدها، وأصبعه يداعب معصمها.. فهمست:

- لا.. لا أريد إنهائه.. لكن.. لكن ماذا عنك؟

- أكنت أتيت من سيدني إلى سيزار وجئت معه بالأمس لأراك لو أردت إنهاء الزواج؟ أريدك، ولا أريد سواك..

نظرت إليه متكبرة وقالت:

- لكنك لا تحبني.. ليس كما أحببت بيا.. لم تقل لي مرة أحبك. ولا حتى في منامك.

لمعت العدائية في عينيه، واستدار عنها، يمسك إبريق القهوة ليصب المزيد في فنجانه ثم قال متوتراً:

- إذا كان الأمر سيبقى هكذا دائماً.. إذا كنت سترمين بماضيّ في وجهي.. فمن الأفضل أن تنهي زواجنا. فأنت محقة، أنا لا أحبك مثلما أحببت باميلة.. ولا أستطيع أن أحبك مثلها..

- إذن إرحل عني.. عد إلى سيدني.. و.. ولا تعد مرة أخرى.

وقفت تركض دون وعي من المطبخ، تحس بالغثيان يفور في معدتها.. لكنها لم تبتعد، لأن باتريك قفز عن كرسيه ووقف أمامها، يمسك بكتفيها ليصيح بها:

- الآن قفي وأصغي إليّ لأنهي ما سأقول.

- أوه.. لا.. لا.. لا أستطيع!

www.elromancia.com
مـرومـونـسـيـة

تحررت من قبضته وركضت بجنون إلى الحمام الصغير.. مالت فوق المرحاض تتقيأ بألم.. لكن موجة الغثيان لم تدم طويلاً، وسرعان ما استقامت تدفع بشعرها عن وجهها.

ـ لماذا تقيأت؟

كان باتريك يقف ورائها، يستند إلى إطار الباب يراقبها مقطب الجبين.

ـ إنها.. إنها رائحة القهوة.. أنا بخير الآن.. أعذرني أرجوك أريد الذهاب لتغيير ثيابي.

إرتدت تنورة صيفية ملونة بأزهار صغيرة.. وبلوزة بيضاء بسيطة مشطت شعرها وارتدت صندالاً خفيفاً.

ثيابها الغجرية الطراز كانت تناسب طولها وإسمرار بشرتها، ثم وضعت في أذنيها قرطاً ذهبياً بحلقات كبيرة، نادراً ما ترتديه.

حين عادت إلى المطبخ، لم يكن باتريك هناك.. فأحست بالذعر، كما تشعر دائماً حين يختفي دون أن تعرفه أين هو.. وغاصت في بؤسها، تتساقط الدموع من عينيها.. دون أن تسمع وقع أقدام خلفها إلى أن أحست بذراعين تلتفان حولها وترفعانها عن الكرسي، وعرفت أنه هناك.. سألها:

ـ ما الأمر؟ لماذا تبكي؟

ـ ظننتك رحلت.

ـ ألم تسمعي جرس الباب؟

ـ لا.. من كان؟

ـ ساعي البريد مع رزمة لأمك.. ما بك حبيبتي.. لماذا أنت حزينة؟

ـ لم أقصد ما قلته لك.. لم أقصد.. لا أريدك أن ترحل من دوني.. أوه باتريك.. أحبك.. لكن لا أستطيع مشاركتك مع إمرأة أخرى.. ولن أفعل.

ـ إذن إسمعيني فيما كنت سأقوله لك.. لن أستطيع أن أحبك كما أحببت باميلا، لكن هذا لا يعني أنني لا أحبك.. أنا أحبك ڤيرا.. وإلا لما طلبت الزواج منك.. كنت في أسفل درك من الإحباط العاطفي يوم التقينا.. موت بيا أصابني في الصميم، وكنت مقتنعاً أنني لن أحب إمرأة أخرى.. لكن رقتك وحيويتك أيقظتني من حالة التخدير التي وقعت فيها.. ڤيرا أحبك، وأريد المحافظة على زواجنا.. أرجوك، ضعي الخاتم مجدداً في إصبعك.

كان الخاتم البلاتين يلمع بين إصبعيه.. مدت يدها اليسرى، ليدس لها الخاتم في إصبعها الثالث.. كانت الدموع لا تزال تلمع كلمعان النجوم في ليلة صيف دافئة صافية.. وقالت له:

ـ شكراً لك.. شكراً لمجيئك إلى هنا وإخباري ما أخبرتني به.. سأحاول أن أكون طيبة وأن لا أهرب مرة أخرى.

تعانقا لفترة طويلة.. ثم قال باتريك:

ـ الآن وقد قلت لك كل شيء عن نفسي.. وعدنا إلى بعضنا.. أليس هناك شيء تقوليه لي.. شيء له علاقة بالغثيان في الصباح، وكراهية القهوة المفاجئة؟

شهقت، ونظرت إليه من طرف أنفها:

ـ أوه.. أنت تعرف الكثير عن النساء.. الكثير جداً.

ـ قبل أن تنطلقي بالإتهامات، أذكرك أن لي شقيقة عندها

ولدين ولي الكثير من الأصدقاء أصبحوا الآن آباء. وأعرف زوجاتهم خلال الحمل.. لذا قولي لي.. هل هذا صحيح؟ هل سأصبح أباً أنا أيضاً؟

ـ أجل.. لكنني كنت أتمنى لو أنك لم تعرف بنفسك.. لأنني ما كنت أنوي أن أقول لك.. إلا بعد أن أتأكد أنك تريد الإبقاء على زواجنا، فلا أريدك أن ترغب في هذا لمجرد أنني أحمل طفلك.. أوه.. ما بك.. ألست سعيداً؟ ألا تريدني أن أحمل طفلك؟

ـ ليست المسألة مسألة أريد أم لا. بل المسألة إذا كنت أنت تريدين هذا الطفل.

ـ بالطبع أريده.. وسآكل الطعام المناسب وأقوم بالتمرين المناسب.. ولقد ذهبت إلى الطبيب وأجريت كل الفحوصات.. ويقول أن كل شيء على ما يرام حتى الآن.. وسألده هنا، حوالي الميلاد.

ـ ستلدينه؟ ومن قال أنه هو وليس هي؟ ومن قال أنني أريدها أن تولد هنا.

ـ أترى.. لم أكن مؤمنة أنك ستأتي.. لكن بإمكاني أن ألده في سيدني.

ـ لكنني قد لا أكون هناك.. فقد انتدبتني الشركة لتنفيذ مشروع تونس.

ـ إذن سيولد طفلنا في تونس، لأنني قادمة معك لنعيش معاً هناك.. متى ستسافر؟

ـ في شهر آب بعد زيارة والدي لنا.. وأظن الأفضل لو تبقى هنا في نيوكاسل، وتلدي الطفل هنا. حيث المستشفى جيدة وتعرفين الطبيب.

ـ لا..

ـ بلى.

ـ أوه.. أنت لا تعني ما تقول.. لن أستطيع العيش لوحدي لا أستطيع، ولن أفعل. إذا كنت تحبني كما تقول، دعني أذهب معك. أرجوك باتريك.

لكنه بقي صامتاً، فأكملت:

ـ أوه.. سأبقى هنا إذا كان هذا ما تريد.. بدأت أفهم الرسالة، فأنت لا تريدني إلى جانبك طوال الوقت.

ـ إذن فهمت الرسالة الغلط.. أنا أفكر بك فقط.. قد لا يعجبك العيش هناك لسنتين.

ـ سأحب أي مكان طالما أنا معك. هذا أهم عندي من أي شيء، أكثر من عملي أو عملك، أو حتى الطفل.

صمتت تراقبه، لترى ما إذا كانت تلك الأبواب الفولاذية في عمق عينيه ستنفتح. وما إذا كانت ستتمكن أن تلمح ولو لمحة قصيرة ما في أعماق قلبه.. إبتعدت عنه لتقف قرب النافذة. وبدأت تقول:

ـ حسن جداً.. سأتحمل بعدك عني.. لكنني أحذرك، لو سافرت من دوني.. سأكون نصف حية.. وحين تعود قد لا أكون هنا.

تحرك بسرعة وأدارها نحوه:

ـ وماذا تعني بهذا..؟

www.elromancia.com

ـ ما قلته بالضبط . . إذا سافرت دوني، لا أستطيع أن أعد أن أكون هنا حين تعود . . أحبك وأريد أن أراك كل يوم، ولطالما كنا أحياء. ولن أتحمل أن تتركني، كما ترك أبي أمي.

إبتسم بسخرية:

ـ إذن يجب أن تأتي معي. لأنني لا أريدك أن تبقي نصف حية. وإذا لم تكوني هنا حين أعود . .

ضمها بين ذراعيه:

ـ دعينا لا نتكلم أكثر من هذا فيرا . .

بعد لحظات عناق، نظر إليها مجدداً، دون سخرية، لكن بعناد:

ـ إذا كنت ستأتي معي، يجب أن تعديني بأن لا تهربي كلما صادفت المتاعب . . وسيصادفنا الكثير . . وأن لا تهربي كلما اختلفنا في الرأي أو تشاجرنا، أو إذا فعلت شيئاً لا يعجبك . . فالحب لا يهرب، بل يصمد ويبقى مؤمناً. يواجه المشاكل، ويحاول حلها.

ـ أظنني تعلمت هذا الآن . . أحياناً يطرح الحب أسئلة سخيفة لعينة كذلك.

ـ وأحياناً يجيب عليها مع الوقت . . أحبك فيرا . . وتذكري دائماً هذا . . وزواجنا سيبقى حتى آخر أيامنا.

كررت من بعده ترفع شفتيها إليه بكل رغبة:

ـ حتى آخر أيامنا.

www.elromancia.com